دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الفكر السياسي عند حنة أرندت
المصدر:	مجلة كلية الآداب
الناشر:	جامعة بنها - كلية الآداب
المؤلف الرئيسي:	عبدالحفيظ، محمد
المجلد/العدد:	ع48, ج5
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2017
الشهر:	أكتوبر
الصفحات:	1 - 70
رقم MD:	1087379
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	أرندت، حنة، الإنتاج الفكري، الفكر السياسي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/1087379

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الفكر السياسى عنـــد حنة أرندت

د / محمـــد عبد الحفيــظ
أستاذ الفلسفة المساعد
كلية الآداب ـ جامعـــة بنها

مقدمة

تعد المنظرة السياسية حنة أرندت[1] من رواد الفكر السياسي الغربي في القرن العشرين. إن ميلاد أرندت في بداية القرن العشرين حتي وفاتها في النصف الأخير من هذا القرن، جعلها تشاهد بنفسها أو بمعني آخر شاهد عيان علي المصائب الكبرى التي حدثت للإنسانية. مما يجعلنا نذهب إلى القول بأن سيرتها الذاتية تعد تجسيداً حياً لأهم الأحداث الدموية التي حدثت في القرن العشرين. إنها ترفض كل أنواع الاستبداد أيا كان، وتدافع عن حرية الإنسان بصدق. وليس أدل علي ذلك من موقفها المعارض للصهيونية، بعد أن كانت تؤيده في البداية وساعدت في هجرة اليهود إلى فلسطين، ولكن عندما علمت بما يحدث هناك من إبادة كاملة للفلسطينيين أخذت موقفاً عدائياً، واعتبرها الصهاينة معادية لهم.

إن السمة الأساسية والغالبة التي لا يخطئها إنسان هي أن القرن العشرين هو قرن الحروب والثورات، وبالتالي فإنه أيضاً القرن الأكثر عنفاً. ولقد شهد القرن العشرين حربين عالميتين لم تشهد الإنسانية مثلهما في تاريخها. وفي هذا القرن أيضاً ظهرت أيديولوجيا شمولية تزعم في تقديم حلول لكافة الأزمات والمشاكل الإنسانية، وأعطت الأمل للجماهير البائسة في تحقيق مستقبل أفضل.

إن فكر حنة أرندت السياسي مرتبط بشكل مباشر بالأزمات التي عاصرتها في القرن العشرين، وعاشت بنفسها تجربة النازية مع هتلر، ولم ينقذها من الموت سوى هروبها خارج ألمانيا. مثل هذه التجربة جعلها تتناول النمطين الأبرز للهيمنة التوتاليتارية ألا وهما النازية الألمانية، والستالينية الروسية.

---

[1]) ولدت في ألمانيا عام ١٩٠٦م ، وحصلت علي الدكتوراه من جامعة هايدلبرج الألمانية في عام ١٩٢٦ م تحت اشراف كارل ياسبرز ، وفي عام ١٩٣٣م هربت من ألمانيا إلى فرنسا ، وفي عام ١٩٤١ م ذهبت إلى الولايات المتحدة الأمريكية وحصلت علي جنسيتها بعد عشر سنوات من إقامتها، وتوفيت في نيويورك عام ١٩٧٥م.

والتوتاليتارية تعني تحكم شخص واحد في جميع السلطات، وبالطبع يتحكم في كل القرارات، ويتمتع بتأييد جماهيري جارف. وهناك اختلاف بين مفهوم الشمولية التوتاليتارية والإستبداد. لأن التوتاليتارية تسعي إلى دمج الجماهير في أيديولوجيا واحدة. والتوتاليتارية تسعي إلى السيطرة علي كل شعوب العالم، وإزالة كل واقع غير توتاليتاري. والتوتاليتارية عند وجودها في السلطة تظل كما هي قبل وجودها في السلطة لا تعرف الاستقرار، أو مراجعة مواقفها.

وهكذا نجد أن أهم المشكلات السياسية التي استحوذت علي اهتمام حنة أرندت هي العنف، والسلطة، والإرهاب، والاستبداد، والحرية، والثورة ، والشمولية التوتاليتارية. وهذا ما سوف نتناوله في بحثنا.

الفصل الأول

السمات العامة لفكر أرندت السياسي

أولاً : الجذور الفكرية

ثانياً : مدخل عام للسياسة

الفصل الأول

السمات العامة لفكر أرندت السياسي

أولاً : الجذور الفكرية

تعتبر أرندت من رواد الفكر السياسي في القرن العشرين. وتناولت العديد من الموضوعات السياسية مثل : السلطة، والاستبداد ، والإرهاب، والثورة، والعنف، والشمولية، والحرية..... الخ.

ويعد فكر أرندت السياسي مرتبط بشكل مباشر بظروف عصرها وانعكاسا للأحداث السياسية التي شهدها القرن العشرين. ذلك القرن الملئ بالأحداث والصراعات السياسية. ومن أهم الأحداث المؤسفة التي ظهرت في القرن العشرين، الحربين العالميتين الأولي والثانية، وأن أكثر ما أثار قلقها علي الإنسانية هي الأنظمة التوتاليتارية المتمثلة في النازية الألمانية والستالينيه الروسية.

تركت هذه الأحداث أثرها علي السياسة العالمية واصطبغت بصبغة إستبدادية. ولقد فقدت الإنسانية حريتها وتخبطت في عالم يسوده العنف واللامبالاة. في هذا المناخ القاتم، والإنسانية المفقودة، والديكتاتورية السائدة، حاولت أرندت قدر استطاعتها لفت الأنظار إلى خطورة ما يحدث وعواقبه السيئة. ومن هنا جاء إهتمامها بالسياسة، ولأنها تسعي إلى تغيير الواقع اهتمت بالفعل الإنساني.

ونستطيع القول بأن الفعل عند أرندت ـ كما سنتناول ذلك . بمعني الممارسة القديمة. نعني بذلك دولة المدينة اليونانية نموذجاً. ولأهمية الفعل عند أرندت ، فإننا نذهب إلى القول بأن الفعل هو أساس النظرية السياسية. وقد تناولت الفعل من خلال فهمها للحرية، والمشاركة، والحوار.

لأن الفعل والسياسة . من بين كل القدرات وامكانات الحياة الإنسانية . هما الشيئين الوحيدين اللذين لا يمكن تصورهما دون إفتراض وجود الحرية. ولا نستطيع لمس قضية سياسية واحدة ضمنياً أو صراحة دون تلمُس قضية حرية الإنسان. وعلاوة علي

ذلك، فالحرية ليست مجرد إحدى المشكلات العديدة وأحد ظواهر عالم السياسة . عند الحديث بالشكل المناسب . مثل العدل، والسلطة، أو المساواة... فبدونها تصبح الحياة السياسية ليس لها معني. إن سبب وجود السياسة هو الحرية، ومجالها في التجربة هو الفعل [١].

ومما لا شك فيه أن القدر قد منح أرندت فرصتين تتمثل الأولي في أنها عاصرت فيلسوفين ألمانيين من أكبر فلاسفتها ألا وهما " هيدجر ١٨٨٩ . ١٩٧٦ " و " كارل ياسبرز ١٨٨٣ . ١٩٦٩ ". والثانية أن الظروف أتاحت لها مناقشتهما في أفكارهما، من خلال حضورها لمحاضراتهم[٢].

وهكذا نجد أن أرندت علي الرغم من بدايتها الفلسفية إلا أنها إتجهت إلى السياسة. وهنا يطرح سؤال نفسه لماذا إصرارها علي السياسة ؟ لأن الأحداث السياسية المتلاحقة والحروب التي اشتعلت في القرن العشرين، وتعرضها للاضطهاد من قبل النازية كيهودية أدت إلى هروبها من ألمانيا إلى أمريكا. كل هذا ترك تأثيره علي فكرها، وأدى إلى تعمقها في الدراسات السياسية، وقدمت دراسات متميزة وتحليلات ناضجة، ودفاعاً مستمراً عن الحرية السياسية. ومما يؤكد علي إنسانيتها وتحيزها الكامل للحرية، وهجومها الشرس على أي سياسة تمارس العنف أو القمع أو الإبادة. يتضح ذلك من موقفها العدائي من الصهيونية.

أدى هذا كله إلي أن تعلن أرندت بصراحة انحيازها إلى السياسة، ورفضت لقب فيلسوفه. نجد ذلك في لقاء مع صحفية ألمانية في منتصف الستينيات من القرن

[1]) Arendt ,Hannah ,Between Past and Future , Six Exercises Political Though, The Viking Press , New York ,1961 .P,146.

[2]) Young Bruehl , Elisabeth , Hannah Arendt , For the Love of The World , Yale University Press ,1982.P,62 .

الماضي عندما تحدثت معها بصفتها فيلسوفة فكان ردها المباشر بأنني لست فيلسوفه، ولكنني متخصصة في مجال النظريات السياسية [١] .

ومن الأسباب التي أدت إلى توجه أرندت إلى السياسة ورفضها لقب فيلسوفه، تأييد هيدجر للنازية، مما جعلها ترى أن الفلسفة لم تمنع فيلسوفا متميزاً مثل هيدجر من معرفة حقيقية النازية. لأن هيدجر عندما إستولى النازيون علي مقاليد الحكم في ألمانيا تم تعيينه مديراً لجامعة فريبورج سنة ١٩٣٣، وألقى خطاباً بهذه المناسبة عن "وضع الجامعات الألمانية " ولكنه لم يلبث أن استقال من منصبه عام ١٩٣٤، أي بعد عام واحد أو أقل! وقد اعتبره الحلفاء من أعوان النازية، فمنعوه من التدريس بالجامعات الألمانية بعد انتهاء الحرب [٢].

وفي رسائل متبادلة ما بين أرندت وياسبرز، كتب إليها في رسالة من هذه الرسائل أن ما قمت بكتابته في السياسة يعد فلسفياً. وكذلك نجد أن أرندت اصطبغت السياسة لديها بصبغة فلسفية، يتضح هذا في تأثرها بالعديد من الفلاسفة . سنتناول البعض علي سبيل المثال . ولكننا لن نلتزم بالترتيب التاريخي. ونبدأ بمن تأثرت بهم بشكل مباشر، من خلال المحاضرات، ومشاركتها في مناقشات مباشرة معهم ألا وهما هيدجر وياسبرز.

لقد تأثرت أرندت بالفكر الفلسفي الوجودي عند هيدجر، وقد التقت به للمرة الأولى في عام ١٩٢٥م وكان عمرها حينئذ سبعة عشر عاماً. فأتاحت لها الظروف أن تأخذ مكانها بين طلابه. وبعد عامين من لقائهما الأول أصدر سنة ١٩٢٧م الجزء الأول من كتابة الضخم " الوجود والزمان " وهو سبب شهرته، وهو الكتاب الذى لم يصدر له أي جزء آخر.

---

[1]) Dana R.Villa , Politics ,Philisophy,Terror ,Essays on The Thought of Hannah Arendt , Princeton University Press , New Jersey ,1992,P,3.

[٢]) د . زكريا ابراهيم ـ دراسات في الفلسفة المعاصرة ـ الجزء الاول ـ دار مصر للطباعة ـ ١٩٦٨ ص ٤٢٣ .

وأهمية هذا الكتاب نجدها في المفاهيم الجديدة التي كشفت عنها دراسة هيدجر الأونطولوجية لمقومات الوجود الإنساني. والنجاح الذى حققه هيدجر لم يقتصر على الأوساط الفلسفية فحسب، بل انتقل إلى جمهور المثقفين بصفة عامة. وأصبح كتاب "الوجود والزمان " بمثابة حدث هام في تاريخ الفكر الفلسفي المعاصر، ليس في ألمانيا فقط، وإنما في العالم أجمع[١].

وأما عن سبب انصراف هيدجر عن نشر الجزء الثاني من كتاب" الوجود والزمان" فهذا يعد دليلاً علي " إعترافه بأنه لم يهتد إلى أيه وسيلة للإفلات من البقاء داخل العالم، ومن التنامي اللذين يميزان الآنية" [٢].

ونجد تأثر أرندت بهيدجر واضحاً حين يفرق هيدجر بين نوعين من الوجود البشري، فهناك الوجود الحقيقي والوجود الزائف. وهذا يعني التمييز بين ذات حره تأخذ علي عاتقها مسئولية وجودها، وذات غريبة على ذاتها فقدت حريتها فأصبحت تحيا علي حساب الآخرين. والوجود الحقيقي تشعر معه الذات بأنها مسئولة عن ذاتها، وتأخذ علي عاتقها تبعة وجودها. والوجود الزائف تهبط فيه الذات إلى مستوى الموضوع، فتميل إلى الإنغماس في المجموع، آمله من وراء ذلك التهرب عن حريتها، والتنصل من مسئوليتها، والتخلص من شعورها بالقلق[٣].

وإذا كانت الحرية عند أرندت هي قضيتها الأساسية التي ظلت تدافع عنها بكل ما تملك من إمكانية، ومن لا يمتلك حريته يفقد في اللحظة ذاتها إنسانيته. وهنا نجد تأثرها بالحرية عند هيدجر، لأن الحرية لديه "هي أساس الأساس، وفي هذه العبارة تظهر الكلمة الأخيرة في فلسفة هيدجر"[٤].

---

[١] د . زكريا ابراهيم ـ دراسات في الفلسفة المعاصرة ص ٤٢٢ .

[٢] ريجيس جوليفيه ـ المذاهب الوجودية من كيركجورد الي جان بول سارتر ـ ترجمة فؤاد كامل ـ مراجعة د . محمد عبد الهادي أبو ريده ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ ١٩٨٢ ص ١٢٦ .

[٣] د . زكريا ابراهيم ـ دراسات في الفلسفة المعاصرة ص ٤٣٢ .

[٤] إ . م . بوشنكسي ـ الفلسفة المعاصرة في اوروبا ـ ترجمة د . عزت قرني ـ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ـ ١٩٩٢ ص ٢٨٣ .

وإذا كانت أرندت دائماً في نضال من أجل الانتصار للقيم السياسية، نجد تأثرها بفلسفة ياسبرز التي تري أن " النضال لا سبيل إلى التحرر منه أو الإمتناع، لأن مجرد الوجود ينطوي علي النضال، وما يسلتزمه من مخاطرة ومن يعش يخاطر علي درجات متفاوتة من المخاطرة، إذ كل عملية من عمليات الوجود تنطوي على مراهنة بالوجود الإنساني في الموقف الناشئ عنه "[١].

وهكذا نجد أن مكانة الحرية عند أرندت كما هي عند ياسبرز. ولا يوجد إنفصال بين الفلسفة والسياسة. ونستطيع القول بأن أي نظرية سياسية في حاجة إلى رؤية فلسفية. ويذهب ياسبرز إلى القول بأن الوجود صوب الحرية تتلاقي كل توكيداتنا. فأنا بإعتبارى حرية أبرهن بنفسي لا على ما أنا عليه فحسب بل أيضاً على ما أستطيع أن أكونه، وما أريد أن أكونه. والفلسفة من خلال هذا الفهم تكون تعبيراً عن الحرية التي يصبح فيها كل شئ أمراً شخصياً. أما فيما يتعلق بالعالم البحت فهو دائما شيء أجوف خادع [٢].

وإذا كانت الحرية عند أرندت لا تنفصل عن المجال السياسي، وترفض الحرية الداخلية الذاتية، كذلك يذهب ياسبرز إلى أن الحرية لا تعيش إلا في عالم من الحريات. ويرفض ياسبرز أن يوجد مع ذاته فحسب، بل لابد له من أن يوجد مع غيره، وأن تحقيق الذات لا يتم إلا بالإشتراك مع غيره من الذوات. ولن أكون موجوداً حقاً إلا من خلال التواصل[٣].

[١] د . عبد الرحمن بدوي ـ دراسات في الفلسفة الوجودية ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ الطبعة الأولي ـ ١٩٨٠ ص ١٣٧ .
[٢] ريجيس جوليفيه ـ المذاهب الوجودية من كيركجورد الي جان بول سارتر ص ٢١٩.
[٣] د . زكريا ابراهيم ـ دراسات في الفلسفة المعاصرة ص ٤٦٨.

واتساقاً مع ما سبق يذهب ياسبرز إلى القول بأننا أحراراً في الماضي لأنه حدث وانتهى. ولسنا أحراراً في الحاضر الذى تكون بالفعل، وكلنا أحراراً في المستقبل الذي نصنعه نحن بأيدينا. لأن المستقبل وليس الماضى هو أساس تطلعاتنا(١).

وهناك شبه اتفاق علي أن الإنسان تتملكه الدهشة ويقف عاجزاً أمام حوادث التاريخ السياسي... فمنذ أن وجد الإنسان ولا منطق يعلو فوق منطق القوة.. ويسعى الانسان إلى تجميل هذه الصورة ولكن التاريخ السياسي يؤكد علي فشله وتظل الكلمة الأخيرة هي سيطرة الأنانية علي السلوك الإنساني(٢) .

وتأثرت أرندت بفلسفة كيركجور ولم لا ؟ وهو الوجودي الذي تأثر به كل من هيدجر وياسبرز وكلاهما تأثيره واضح علي فكر أرندت . وكذلك نجد أن أرندت كانت تقرأ بشغف كل ما وصل إليها من كتابات كيركجورد. ومن الفلاسفة التي تأثرت بهم أرندت نيتشه وقرأته بعناية وإهتمام. ونستطيع القول بأن أرندت قد تأثرت بالفلاسفة في كافة العصور.

ونستطيع القول بأن أرندت تأثرت بفلسفة كيركجور. وإن كان كيركجور أقل إهتماماً بالمشكلات السياسية. فنجد أن كيركجور " يهدف إلى إنقاذ الشخصية البشرية من الضياع، وإلى أن تسترد ذاتها، وأن تستعيد خصوصيتها التي فقدتها وسط الجماهير بين ما يسمي بالشعب عند السياسيين"(٣).

وهناك أيضاً فلسفة هيجيلية في فلسفة كيركجور، ولكن لا يعني ذلك أنه لم يضف جديداً. ولكن كيركجور قدم فلسفة متميزة عن الفلسفة الهيجيلية. لأن هيجل في رأي

---

[1]) John Hennah ,Karl Jaspers, Attude to Words History the Philosophy of Karl Jaspers , Edited by Paul Arthur Schilpp , New York , Tudor Publishing company , The Library of living Philosophers ,1937,P,586.

[2]) Albyrey Castell Donald M.Berchert An Introduction To Modern Philosophy . Filth Edition-Macmillan Publishing Company ,New York ,1988.P,306 .

[٣]) د . إمام عبد الفتاح إمام ـ كيركجور رائد الوجودية ـ الجزء الأول ـ دار الثقافة للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٨٢ ص ١٩٧.

كيركجور إهتم بالوجود العام، وكانت غايته ميتافيزيقية، في المقابل نجد أن كيركجور يوجه كتبه إلى الوجود الفردى العيني[١].

وهكذا نجد أن الإنسانية تجد نفسها دائماً في حاجة إلى من يوقظها. ويتجلى ذلك في فزع كيركجور ونيتشه عند رؤيتهما عمق المأساة التي تنحدر إليها الإنسانية، فحاولوا التنبيه قدر استطاعتهما. لقد حاولت أرندت التحذير ولفت النظر إلى المأساة التي قد تتعرض لها الإنسانية، نتيجة تحكم التوتاليتارية في مستقبل الإنسانية.

ولذلك يذهب ياسبرز إلى القول بأن كيركجور ونيتشه " كلاهما جاء بأعمق حقيقة إمتزجت بتوكيدات موضوعية مذهلة لاتزال غريبة علينا : فإن كيركجور قد أول المسيحية تأويلاً يجعل منها إيماناً باللا معقول، وقد بسط نيتشه أفكاره عن إرادة القوة وعن (الانسان الأعلى) وعن (الرجعية الأبدية).وهذه الأفكار قد حيرت الكثير من العقول وما تزال غير مقبولة.. ومازالت أفكارهم عندنا خميرة ضرورية للقلق طالما بقي في أنفسنا سلام زائف " [٢] .

وهكذا نجد أن أرندت تأثرت بالعديد من الفلاسفة من أمثال هيدجر، وياسبرز، وكيركجور، ونيتشه... إلخ. وقد استطاعت أن تستوعب ما كتب في الفلسفة في العصور المختلفة، مما أضاف إلى فكرها السياسي عمقاً جعلها من أعظم ما كتبت في السياسة، ومتفردة عن معاصريها في القرن العشرين. وإذا إفترضنا جدلاً أنها لم تتح لها الفرصة في أن تدرس الفلسفة بشكل مباشر مع كل من هيدجر وياسبرز، هل كنا نتوقع أن يتميز فكرها السياسي بهذا العمق ؟

---

[١]) د . إمام عبد الفتاح إمام ـ كيركجور رائد الوجودية ـ الجزء الثاني ـ دار الثقافة للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٨٦ ص ٧٨.

[٢]) كارل ياسبرز ـ مستقبل الانسانية ـ ترجمة وتقديم د . عثمان امين ـ الدار القومية للطباعة والنشر ـ الطبعة ـ الأولي ١٩٦٣ ص ٦٧ ، ٦٨ .

ثانياً : مدخل عام للسياسة

تهتم الإنسانية بالسياسة ولم لا؟ وهي متداخلة في كافة مناحي الحياة بشكل مباشر. وأن القرارات السياسية تؤثر بالسلب أو الإيجاب ليس فقط علي العلاقات بين الأفراد داخل الدولة الواحدة ولكن بين الدول بعضها البعض. واحتلت السياسة في عصرنا الراهن قيمة كبيرة، لأن مستقبل الإنسانية بأكمله أو بمعني آخر الوجود الإنساني أصبح مقترنا بالسياسة ولا سيما بعد التقدم العلمي المذهل وامتلاك الانسان لأسلحة الدمار الشامل، الذي قد يؤدي إستخدامها إلى فناء الإنسانية بأكملها. وإذا أردنا أن نتعرف علي السياسة نجد أنها " تؤسس من خلال التعددية الإنسانية "[١] .

إن كل إنسان يتصف بالتفرد والتميز عن الآخر ويمثل الإنسان القيمة القصوى للوجود. والوجود لا معني له بدون الإنسان، وأن كل شيء له قيمة لإرتباطه بالاهتمام الإنساني. والسياسة يقع علي عاتقها تنظيم كائنات مختلفة[٢].

وهكذا نجد أن التقدم الذي حققته الإنسانية أعطي أهمية للسياسة. نتيجة الخوف الذي يسيطر علي الجميع من إندلاع حرب نووية قد تؤدي إلى هلاك الإنسانية بشكل مرعب. وهنا نجد أن لسان حال الإنسانية يذهب إلى القول " بأنها تتخلص من السياسة بدلاً من التخلص من نفسها "[٣].

يعني ذلك أن السياسة أصبحت تمثل عبئاً أثقل كاهل الإنسانية. وإذا كانت الإنسانية مهددة بسبب السياسة، فإن ذلك يعني . كما أشرنا سابقاً . أننا نحاول التخلص من السياسة، وإن كان ذلك ضرباً من الخيال، بمعني من المستحيل التخلص منها.

---

[1]) Arendt ,Hannah ,Qu' est –ce que la Politique ? Editions du Seuil,Pour La Traduction Francaise et la Préface ,1995 ,P,28.

قارن ايضاً حنة أرندت ـ ما السياسة ؟ ترجمة وتحقيق د . زهير الخويلدي ، سلمي بالحاج مبروك ـ مكتبة الفجر الجديد ـ لبنان ـ الطبعة الاولي ـ ٢٠١٤ ص ٥ .

[2])) Ibid,P, 32.

المرجع السابق ص٩.

[3]) Ibid,P, 34.

المرجع السابق ص١١ .

عندئذ لم يبقي أمامنا سوي اليأس الذي يسيطر على الإنسانية من السياسة ومن نتائجها المزعجة[١].

وتذهب أرندت إلى أن هناك ثنائية تمثل رعباً للإنسانية تتمثل في الأنظمة الشمولية والأسلحة الذرية. وكلاهما يمثلان خطراً علي الإنسانية. لأن امتلاك الأنظمة الشمولية مثل هذه الأسلحة يعني أن الخوف والقلق يسيطر علي الجميع. ومصدر ذلك القلق مرتبط بطبيعة الأنظمة الشمولية التي يتحكم فرد واحد في القرار، مما قد يؤدي إلى كارثة قد تمحو الإنسانية من الوجود. وإذ كنا نرغب وبنية صادقة أن يتخلص العالم من هذا الكابوس المزعج " فإن كل ما نستطيع قوله أن شيئاً ما قد يشبه المعجزة سيسمح بتغيير حاسم ومخلّص للعالم "[٢].

إن الإنسانية بطبيعتها تمتلك القدرة والإمكانيات علي إحداث المعجزات. وحتي لا يتخيل أحد أننا نتكلم فيما هو مفارق، نعرف المعجزة الإنسانية بأنها القدرة علي الفعل. لأن الفعل يزلزل ما هو قائم ويعطي دائماً أملاً جديداً. لأن الفعل يعني بداية جديدة " إن معجزة الحرية تتمثل في سلطة البداية، والتي بدورها تتمثل في الواقع أن كل إنسان بفعل ولادته قدم إلى العالم، وهذا يعني أن هناك بداية جديدة "[٣].

ولأهمية الحرية علينا أن نتوقف لنقدم لها تعريفاً. فالحرية في العادة تلك الملكة الخاصة التي تميز الكائن الناطق من حيث هو موجود عاقل. وأن أفعاله تتم بإرادته هو، ولا يوجد دخل لأيه أراده غريبة عنه. فالحرية طبقاً إلى معناها الاشتقاقي تتضمن انعدام القسر الخارجي. ومن هنا فقد اصطلح التقليد الفلسفي علي تعريف الحرية بأنها

---

[1]) Ibid,P ,50.

المرجع السابق ص٢٧ .

[2]) Arendt ,Hannah ,Qu' est –ce que la Politique ? ,P,52.

قارن ايضاً : حنا اردنت ـ ما السياسة ؟ ص٢٩ .

[3]) Ibid,P,54.

المرجع السابق ص٣١ .

اختيار الفعل عن روية مع الإستطاعة في عدم إختياره أو الاستطاعة في إختيار ضده [١] .

وتهتم أرندت بالحرية السياسية إهتماماً كبيراً. وفي هذا الصدد نذهب إلى القول بأن الفعل الحر يعطي الانسان القدرة علي الإبداع. والحرية السياسية هي مزيج من الحرية الفردية والحرية العامة. والحرية عند أرندت ترتبط بالعمل، ومن خلال الحرية يتسني للإنسانية تحقيق التقدم وتغيير العالم إلى الأفضل[٢].

وهكذا نجد أن السياسة مهما اتفقنا واختلفنا عليها، فإنها تمثل ضرورة لا نستطيع أن نبتعد عنها. لأن الانسان ليس في وسعه أن يحيا منعزلاً عن الآخرين، ولكن عليه أن يسلم بأن الحياة المشتركة لا مفر منها. إذن مهمة السياسة وغايتها تتضمن الحياة بالمعني العام للكلمة.. فالسياسة موجودة دائماً وفي كل مكان يوجد فيه تجمع إنساني. وهذا يحيلنا إلى أرسطو الذي ذهب إلى القول بأن الانسان كائن حي سياسي[٣] .

إن الحرية هي أهم ما يميز الإجتماع الإنساني في المدينة الدولة عند اليونانيين. ولكن لا يعني هذا أن السياسة هي وسيلة لتحقيق الحرية الإنسانية، لأن الحياة داخل المدينة الدولة لا تنطبق إلا علي الإنسان الحر. وتتناقض الحرية تماماً مع كونك عبداً، أو عاملاً يدوياً واقعاً تحت ضغط ضرورة كسب خبزه اليومي. وحتى يكون الإنسان حراً عليه أن يكون متحرراً من الضرورات[٤].

حيث نجد أن اليونانيين عندما كانوا يذهبون إلى القول بأن العبيد والبربريين محرومون من الكلام، كانوا يقصدون أنهم في وضعية لا تسمح لهم بحرية الكلام. لأن

---

[١]) د . زكريا إبراهيم ـ مشكلة الحرية ـ مكتبة مصر ـ ١٩٧١ ص ١٨ .

[2]) Dana, Rvilla,Arendt and Heidegger ,The Fate of the Political ,New York , Princeton University ,Press, 1996,P,148 .

[3]) Arendt ,Hannah ,Qu' est –ce que la Politique ? ,PP,57,58.
قارن أيضاً : حنا اردنت ـ ما السياسة ؟ ص٣٣ ، ٣٤.

[4]) Ibid,P,59.

المرجع السابق ص٣٦ .

الكلام لا يكون إلا مع الأنداد. إذن الحرية بهذا المعني لا تعني الديمقراطية بمعناها الحديث، ولكنها تعني أنها مقصوره فقط علي الأنداد من الطبقة الارستقراطية. والقول الفصل في الحرية السياسية يرتبط بالفضاء. ومن يتخلى عن مدينته أو ينفي منها لا يفقد فقط موطنه، لكنه يفقد أيضاً الفضاء الوحيد الذي يجعل منه إنساناً[١].

استمرت علاقة الحرية بالسياسة لآلاف السنين بعد أن ظهرت للمرة الأولي في المدينة اليونانية. ولكن بعد ذلك ولا سيما في العصر الحديث تم تقديم علاقة جديدة بين الحرية والسياسة نستطيع أن نلخصها في أن الإنسان الحر لا يعني سوي القدرة علي الذهاب والإياب بحرية. وعلي ذلك تم تجاوز التعريف القديم الذي التصقت فيه السياسة بالحرية في المدينة اليونانية[٢].

وهكذا نجد أن دراسة دولة المدينة الإغريقية نستطيع من خلالها الوقوف علي الملامح العامة والأسس الجوهرية لبداية الفلسفة السياسية. وكذلك نجد أن دراسة الدولة القومية تمكننا من أن نرى كيف انتعشت الفلسفة السياسية وتطورت من الدولة المدينة إلى الدولة القومية[٣].

ولكننا لا نستطيع في أي دولة حديثة أن نطبق أو نقبل المصطلح الأثيني (الحكم بالشعب) ولكننا نستطيع استبداله بمصطلح الرقابة الشعبية، ومدي فاعليتها علي الحكام وصانعي القرار. وبناء علي ذلك يصبح النظام السياسي ديمقراطياً مدافعاً عن الحرية طبقاً لخضوع صانعي القرار لرقابة شعبية فعالة. يعني ذلك الرقابة الشعبية لصانعي القرار السياسي هي السمة، أو المبدأ الأساسي الذي من خلاله يتم تصنيف

---

[1]) Ibid,P,61.

المرجع السابق ص٣٨ .

[2]) Ibid,PP,64,56.

المرجع السابق ص ٤١ .

[٣]) د . علي عبد المعطي ـ الفكر السياسي الغربي ـ دار المعرفة الجامعية ـ الاسكندرية ـ ١٩٨٠ ص ٣٠ .

النظـام السياسـي كـأكثر، أو أقـل ديمقراطيـة يحتـرم الحريـة طبقـاً لعـدد مـن المعـايير المصاحبة للرقابة الشعبية[١].

وفـي الواقـع نجـد أن ميـو يـذهب للقـول بأننـا قـد لا نعـي قيمـة الحريـة التـي نحياهـا، علي اعتبار انها حق مكتسب. وإذا أردنا أن نعرف قيمة الحرية التي نحيا في كنفها علينا أن نقارنها بما يحدث في الاتحاد السوفيتي والدول الشيوعية . قبل أن تسقط الشيوعية . التي تجهض أي حرية وتعتبرها رجس من عمل الشيطان. لأن الحرية تعني الوجود بمعني أن فقدنا لحريتنا يعني فقدنا لوجودنا. والإنسان لن يتسني له أن يبدع بكامل طاقته إلا إذا عاش في مناخ يحترم إنسانيته، والإنسانية لن تكون جديره بهذا الإسم إلا من خلال ما تتمتع به من حرية[٢].

ونجـد أن هنـاك دوراً للدولـة لا يمكـن تجاهلـه. ومـن إختصاصـات الحكومـة هـو ضمان حرية المجتمع في الداخل والخارج.. وما نفهمه اليوم من حكومة المؤسسات، سـواء كانـت ملكيـة أو جمهوريـة هـي فـي النهايـة حكومـة محـدودة فـي سـلطتها وفـي استعمال العنف، لأنها حكومة تخضع لمراقبة المحكومين. ومعني ذلك أن السماح بحرية الفعل وممارسة النشاط السياسي يظلان إمتيازاً للحكومة والمختصين السياسيين بإعتبارهم ممثلين للشعب، ويتم ذلك من خلال نظام برلماني يمثلهم[٣].

وهكذا تقترب أرندت من مفهوم لوك الذي يذهب" إلى أن السلطة التشريعية لا يمكن أن تدعي لنفسها السلطة لتحكم بقرارات تتصف بالعشوائية، ولكنها ملزمة بأن تقيم العدالة وتقرر حقوق الرعية من خلال سنها للقوانين التي ترسخ لقيم العدل والحرية" [٤].

---

[1]) Moya ,An Introduction To Democratic Theory ,New York ,Oxford University Press,1960,P,60.

[2]) Moya ,H,B,An Introduction To Marxist Theory ,New York ,Oxford University Press,1960,P,241.

[3]) Arendt ,Hannah ,Qu' est –ce que la Politique ? ,PP,90,91.

قارن ايضاً : حنا اردنت ـ ما السياسة ؟ ص ٦٥.

[4]) Lock ,J,OF Civil Government ,London ,J.M.DentSonslimited,1929,P,186 .

ومن المفارقات التي علينا أن نقف أمامها هي أن الحقبة التي اعتبرت تاريخياً الأكثر سلمية والأقل عنفاً " تواجد فيها اكبر قدر من نشر وسائل العنف وأكثرها رعباً، وهذا ليس إلا مفارقة في الظاهر. لأن الذي حدث هو المزج الخاص ما بين العنف والقدرة التي لا يمكن أن تحدث إلا في مجال دولي عام. وانطلاقاً من أن هذا المجال فقط يتصرف البشر جميعاً ويظهرون قدرتهم " [١].

مما لا شك فيه أن تطور أسلحة الدمار الشامل أدت إلى تحولِ ملموس في موقفنا ولا سيما في العصر الحديث ضد السياسة. لقد تملك الإنسانية الخوف وهو بلا شك خوفاً مشروعاً تتمثل في أن الإنسانية من الممكن أن تنتهي تماماً أو تمحي بواسطة السياسة " وعلي الرغم من هذا الخوف، يراودنا الأمل في عودة الإنسانية إلى العقل، وأنها ستتخلص من السياسة أقرب من كونها ستتخلص من نفسها. وأن هذا الأمل ليس أقل مشروعية من هذا الخوف. لأن مقولة إن السياسة متواجدة حيث يوجد البشر هو حكم مسبق "[٢] .

ونحن لا ندري لم هذا الموقف من قبل أرندت ذلك الموقف المتمثل في تخلصنا من السياسة هو الأنسب والأقرب من تخلصنا من أنفسنا. لأن القول بأن السياسة توجد حينما يوجد البشر هو حكم تشكك فيه أرندت. مع أننا نجد ان فكرها السياسي يؤكد كما يتسق ذلك مع الواقع في أن السياسة تؤسس علي واقع التعددية الإنسانية. فكيف إذن تتناقض مع فكرها السياسي في القول بأن الإنسانية لو أنها خيرت ما بين السياسة وما بين وجودها فإنها قطعاً تتخلص من السياسة. مثل هذه الفكرة تحمل المتناقضات بداخلها بشكل واضح لا خلاف عليه، لأن السياسة ليست عرض طارئ، ولكنها تمتزج بالوجود الإنساني ذاته. وبهذه الكيفية لا يتسني لنا فصل السياسة عن

---

[1]) Arendt ,Hannah ,Qu' est –ce que la Politique ? ,PP,98,99.
قارن ايضاً : حنا اردنت ـ ما السياسة ؟ ص٧٢.

[2]) Ibid,P,102.
المرجع السابق ص ٧٦.

التعددية الإنسانية، لأن كلاهما يمتزج بالآخر، وكنا نأمل في أن أرندت تقر بأن الواقع ملئ بالمشاكل . كما تقول دائما . وأن هناك خوف وقلق نتيجة تطور أسلحة الدمار الشامل وعلينا . كما قالت أيضاً . أن نتمسك بالعقل وبإنسانيتنا في تجاوز هذه المشاكل، ونحاول قدر استطاعتنا ألا يتم تصادم بهذه الأسلحة المدمرة. لأن الإنسانية طالما وجدت سيظل هناك صراعاً وستظل السياسة متواجدة، وأن زوال السياسة معناه زوال الإنسانية من الوجود.

العلاقات المتواجدة في هذا العالم لم تؤسس من خلال القوة أو من سلطة أفراد معزولين، ولكن من خلال التعددية، لأن المجتمع يعد المصدر الحقيقي للسلطة، والعنف ليس بإمكانه أن يوجد سلطة إلا إذا أصبح عنفاً شاملاً، وعندئذ من المفترض ألا يوجد حجراً على حجر آخر، ولا إنسان بجانب إنسان آخر. تلك هي الحكومة الشمولية، التي لا تكتفي سياسياً بترويع الأفراد، وإنما تسحق كل العلاقات الموجودة بين الناس باستخدامها الإرهاب المنظم. إن الحرب الشاملة لا تكتفي بتدمير الأهداف العسكرية ذات الأهمية الاستراتيجية، ولكنها تقوم بتدمير كل ما انشأه البشر عندئذ يتوافق هذا الموقف مع الحكومات الشمولية[١].

الإنسان في عزلته ليس حراً مطلقاً ولا يمكن ان يصير حراً إلا من خلال الفعل وتواجده مع الاخرين. والحرية لا توجد في داخل الانسان، سواء تعلق الأمر بإرادته أو فكره أو مشاعره، ولكن في الفضاء الوسيط الذي لا يوجد إلا حيث يتواجد أشخاص كثيرون مع بعضهم البعض، واستمراره مرتبط ارتباطاً وثيقاً بتواجدهم[٢] .

إن الحروب التي تحدث ينبغي أن يكون لها هدفاً محدداً حتى يترتب عليها واقعاً جديداً يتم توظيفه من أجل تواجد استقرار عام. سياسياً فإن الحرية ينبغي أن يعقبها

---

[1]) Arendt ,Hannah ,Qu'est –ce que la Politique ? ,P,113.
قارن ايضاً : حنا اردنت ـ ما السياسة ؟ ص ٨٦ ، ٨٧.

[2]) Ibid,P,122 .
المرجع السابق ص ٩٥.

معاهدة تلك المعاهدة تربط بين شعبين وتقوم بخلق عالم جديد فيما بينهم أو بمعني آخر أكثر تحديداً تضمن الاستمرارية لعالم جديد مشترك، والذي أخذ في النشوء والولادة عندما التقوا ببعضهم البعض في المعركة. ويتمكنوا من ترسيخ شيء متساوٍ بموجب فعلهم ومعاناتهم[١] .

وإذا كنا نتناول السياسة وماذا تعني علينا أن نقوم بسرد بعض الأسئلة ليس لتقديم إجابة عليها:

أولاً : هل هناك معني للسياسة؟ وهذا السؤال يعني أن الأهداف التي من الممكن أن يسترشد بها الفعل السياسي، هل هي جديرة بالوسائل التي يمكن تنفيذها في ظروفنا الراهنة ومحاولة تحقيقها.

ثانياً : هل يوجد في المجال السياسي غايات يمكن من خلالها ان نتجه إليها بكل ثقه؟ وإذا افترضنا وجودها، أليست معاييرهم تتصف بأنها مثالية. لأن كل مؤسسة سياسية، عندما توضع في حالة عمل، لا تهتم لا بالغايات ولا المعايير، وإنما تتبع مساراً داخلياً لا يمكن لأي شيء خارجي عنها أن يوقف مسارها؟.

ثالثاً: الفعل السياسي علي الأقل في عصرنا الراهن، ألا يتميز بغياب كل المبادئ؟[٢]

إن اختفاء الأشياء المشتركة بيننا تعني خسارة فادحة ويترتب عليها نتائج مزعجة أو كما تذهب أرندت تؤدي بنا إلى توسع الصحراء. يعني هذا أن يتلاشى الأمل في تدارك المصيبة التي أصابت الإنسانية، مع أننا لسنا نتاج الصحراء. والإنسانية بما تملكه من إمكانيات وقدرات قادرة علي تحويل الصحراء إلى عالم انساني. وإن كنا نتألم من الصحراء فهذا يعني أننا مازلنا بشراً، ونسعى قدر استطاعتنا التخلص من الصحراء، ولكن الخطر الحقيقي يكمن في " إمكانية أن نصبح سكاناً حقيقيين

---

[1]) Arendt ,Hannah ,Qu' est –ce que la Politique ? ,P,132.

قارن أيضاً : حنا أردنت ـ ما السياسة ؟ ص ١٠٦.

[2]) Ibid,PP,152,153 .

المرجع السابق ص ١٢٧.

للصحراء، وأننا أصبحنا في ضيافتها. والخطر الأكبر الآخر للصحراء يتمثل في كونه يحمل إمكانية العواصف الرملية "[١].

إن الخطورة الحقيقية للصحراء تكمن في أن الحركات الشمولية تتأقلم معها. لأن تلك الحركات لا يتسني لها الوجود والازدهار إلا مع وأد كل ما هو انساني. وإذا كانت الإنسانية تعنى التعددية والتواصل مع الآخرين، فإن الصحراء تقضي على كل هذا. ولذلك تذهب أرندت إلى أن الحركات الشمولية تبدو أكثر اتساقاً وتوافقاً " مع الأشكال السياسية الأكثر تناسباً مع الحياة في الصحراء "[٢].

[1]) Arendt ,Hannah ,Qu' est –ce que la Politique ? ,P,159 .
قارن أيضاً : حنا أردنت ـ ما السياسة ؟ ص١٣٣.

[2]) Loc – Cit .
المرجع السابق ص ١٣٤ .

الفصل الثاني

التداخل بين العنف والسلطة والحياة العملية

أولاً : العنف والسلطة

ثانياً : الحياة العملية

الفصل الثاني

التداخل بين العنف والسلطة والحياة العملية

أولاً : العنف والسلطة

والعنف في اللغة هو الاستخدام غير المشروع للقوة المادية من خلال أساليب متعددة يترتب عليها إحداث أذى للأشخاص والإضرار بالممتلكات والتدخل في حرية الآخرين [١] .

والعنف هو استخدام القوة استخداما غير مشروع أو غير مطابق للقانون. واذا تناولناه سياسياً فهو استخدام القوة أو التهديد بهدف تحقيق أهداف سياسية[٢].

والسلطة في اللغة القدرة والقوة علي الشئ، ولها عدة معان فهي قد تكون سلطة نفسية أو سلطة شرعية أو سلطة دينية. وجمع السلطة سلطات، وهي الأجهزة الاجتماعية التي تمارس السلطة كالسلطات السياسية، والسلطات التربوية، والسلطات الدينية وغيرها[٣] . والسلطة هي القدرة علي إصدار الأمر والتنفيذ[٤] .

ونجد أن هناك توافقاً عاماً بين السياسيين أيا كانت توجهاتهم السياسية سواء كانوا من اليسار أو اليمين، علي أن العنف من أكثر الأشياء تعبيراً عن السلطة. لأن السياسة في النهاية يتم ممارستها من أجل هدف واحد محدد ألا وهو الصراع من أجل الوصول إلى السلطة لتحقيق أهداف سياسية. ولا يوجد بديل أمام السياسي لتحقيق مآربه سوى الاستحواذ علي السلطة. والعنف هنا يمثل اقصى درجات السلطة. لأن العنف في وجود السلطة يتم التعامل معه علي أنه عنف مشروع من أجل الاحتفاظ

---

[١]) جميل صليبا ـ المعجم الفلسفي ـ الجزء الثاني ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ١٩٨٢ ص ١١٢ .

[2]) Wilkinson ,Paul ,Terrorism and The Liberal State , New York , Johnwiley,1977,P,30.

[٣]) جميل صليبا ـ المعجم الفلسفي ـ الجزء الأول ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ١٩٨٢ ص ٦٧٠ .

[٤]) د . مراد وهبه ـ المعجم الفلسفي ـ الطبعة الخامسة ـ دار القباء الحديثة ـ ٢٠٠٧ ص ٣٥١ .

بالسلطة حتي يستطيع التغلب علي المعوقات التي قد يضعها من يتنافس معه في الوصول إلى السلطة من الإتجاهات المعارضة [١].

ونجد أن ماكيافيلي يعضد العنف في السياسة نتيجة الطبيعة الإنسانية الشريرة. ومن أهم كتب ماكيافيلي في السياسة هما " الأمير " و " الخطابات ". ويتناول كتاب الأمير مهمة دراسة الوسائل التي تكتسب بها القوة الاستبدادية ويتم بها المحافظة عليها. أما كتاب " الخطابات " يقدم دراسة عامة للسلطة وممارستها في ظل مختلف أنواع الحكم. ولا يتضمن كتاب " الأمير " أية محاولة لتقديم نصيحة خالصة إلى الحاكم تبين له كيف يكون حاكماً فاضلاً. بل إن الكتاب يعترف بأن هناك ممارسات شريرة تؤدي إلى اكتساب السلطة السياسية. وكأن هذا هو السبب فى اكتساب لفظ " الماكيافيلي " معناه الشرير المذموم[٢] .

ونجد أيضاً توماس هوبز من مؤيدي العنف في السلطة السياسية انطلاقاً من قناعته بأن الطبيعة الإنسانية عدوانية. حيث يرى هوبز أن الناس يكونون في حالتهم الطبيعة متساوين، ويسعى كل منهم إلى المحافظة علي ذاته علي حساب الآخرين، يؤدي بهم ذلك إلى ممارسة العنف من أجل الحفاظ علي أنفسهم. عندئذ تقوم بينهم حالة حرب للكل ضد الكل[٣].

فالإنسان عند هوبز أناني بفطرته، فالفعل ورد الفعل هما مدار كل حركة في الطبيعة. وأن تدافع الناس في المجتمع هو مدار السياسة وأن العامل الأكبر في نفس الإنسان هو حفظ ذاته، وما يعجز الإنسان في تحقيقه بالقوة يلجأ إلى المكر والحيلة. فالإنسان ذئب لأخيه الإنسان يؤكد ذلك ما وصلنا عن أجدادنا المتوحشين البرابرة، وما

---

[1]) Arendt ,Hannah , On Violence ,New York, Harcourt,1970,P31.
قارن أيضاً : حنة أرندت ـ في العنف ـ ترجمة إبراهيم العريس ـ دار الساقي ـ لبنان ـ الطبعة الاولي ـ ١٩٩٢ ص ٣١.

[٢]) برتراندرسل ـ حكمة الغرب ـ الجزء الثاني ـ الفلسفة الحديثة والمعاصرة ـ ترجمة د . فؤاد زكريا ـ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ـ ١٩٨٣ ص ٣٠ .

[٣]) المرجع السابق ص ٦٥ .

نقوم بـه من تدابير خوفاً من الآخرين. فالإنسان لا يهتم سوى بمصلحته وأنانيته من أجل السعادة[١].

ونجد علي النقيض من ذلك دعوة كانط في كتابه " مشروع للسلام الدائم " في دعوته إلى إلغاء الجيوش الدائمة إلغاءً تاماً علي مر الزمان. لأن الجيوش تكون علي الدوام متأهبة للقتال وتقوم بتهديد الدول الأخرى بالحرب دائماً. كما يتم التسابق في زيادة قواتها المسلحة زيادة لا تقف عند حد... علاوة علي ذلك استئجار الناس لكي يقاتلوا أو يقتلوا معناه أننا نتعامل معهم معاملة الآلات المحضة، أو الأدوات في يد غيرهم " الدولة ". وهو أمر لا يتفق مع حقوق الإنسان[٢].

وفي الواقع نجد أن أهم ما يفرق بشكل واضح بين السلطة والعنف يكمن في أن السلطة تستند على الأكثرية، لكن في المقابل نجد أن العنف إلى حد ما يكون قادراً علي السيطرة وليس في حاجة إلى الأكثرية. لأنه يستند إلى أدواته القمعية. إن حكم الأكثرية من دون أن يستند إلى أيه حدود قانونية، أي الحكم الديمقراطي المفتقر إلى دستور من نتائجه المرعبة حرمان كافة الأقليات من حقوقها. ونستطيع دون اللجوء إلى العنف في قمع المعارضين. ولكن لا يعني هذا أن السلطة والعنف شيئاً واحداً[٣] . السلطة عند أرندت هي القدرة علي العمل من أجل تحقيق غرض سياسي. وتميز أرندت بين السلطة والقدرة والقوة والعنف. فالسلطة تعد علي النقيض من القدرة لأنها ليست فردية لكن لها مؤيديها، ويجمعهم هدف سياسي مشترك. والسلطة علي النقيض من العنف لأنها ليست مؤسسة علي الإجبار، ولكن علي التوافق والاختيار[٤].

---

[1]) Alburey Castell Donald M.Berchert An Introduction To Modern Philosophy ,.P,30

[٢]) كانط ـ مشروع للسلام الدائم ـ ترجمة وتقديم د . عثمان أمين ـ الهيئة العامة للكتاب ـ ٢٠٠٠م ص ٢٥ .

[3]) Arendt ,A , On Violence ,1970,PP,36,37.

قارن أيضاً : حنة أرندت ـ في العنف ص ٣٦ ، ٣٧.

[4]) Maurizio , Passerin d'Entreves – The Political Philosophy of Hannah Arendt , Routledge, London and New York ,1994 ,P87.

تنبثق السلطة في كل مكان يجتمع فيه الناس ويتصرفون بالتناسق فيما بينهم. والسلطة ليست في حاجة إلى التبرير ولكن ما تحتاجه هو المشروعية. إن المشروعية حين تجابه تحدياً تسند نفسها بالتوجه إلى الماضي، أما التبرير فإنه يرتبط بغائية متصلة مباشرة بالمستقبل. العنف قد يبرر لكن لن يحوز علي مشروعيته. والتبرير يبدو أقل مصداقية بمقدار ما تبدو الأهداف المستقبلية المتوخاة بعيده في الزمن. إن احداً لن يختلف في ضرورة استخدام العنف عند الدفاع المشروع عن النفس حين لا يكون الحظر بادياً فقط، بل حتمياً كذلك. هنا تكون الغاية التي تبرر الوسيلة واضحة تماماً[١] .

لا يعتمد العنف علي الأكثرية أو علي الرأي العام، بل يعتمد بشكل أساسي علي الأدوات التي تسانده في تحقيق هدفه. تلك الأدوات التي يستخدمها من يمارس العنف تضاعف من قوته وقدرته علي تحقيق هدفه. تلك الآلات المجردة من كل ما هو إنساني، لامتلاكها قوة تدميرية ضخمة. إن العنف باستطاعته أن يدمر السلطة دائماً. فمن فوهه البندقية تتم السيطرة، ولكن ما يعجز عن تحقيقه هو منح السلطة الاستقرار. وإن حدث تظل السلطة غير مستقرة، ومصيرها المؤكد هو الفشل المحقق [٢].

إن المواجهة المباشرة بين العنف والسلطة نتيجتها معروفة ألا وهي انتصار العنف علي السلطة. وإن الموقف الذي اتخذه غاندى القائم علي مبدأ اللا عنف قد حقق نجاحاً، ولكنه كان سيعجز علي الأرجح لو افترضنا أن ذلك الموقف كان في مواجهة مستعمر آخر مثل روسيا الستالينية او ألمانيا الهتلرية أو يابان ما قبل الحرب. إن النتيجة شبه المؤكدة لن تكون موفقة ولن يرحل الاستعمار عن الهند.. لأن الحكم من خلال العنف فقط لا يعني سوي التمسك بما ليس من ورائه فائدة. إن إحلال العنف

---

[1]) Arendt ,A , On Violence ,P46.

قارن أيضاً : حنة أرندت ـ في العنف ص ٤٦.

[2]) Ibid,P, 47.

المرجع السابق ص ٤٧ .

محل السلطة قد يحقق النصر، لكن الثمن سوف يكون باهظاً، لأن من يدفع ليس المهزوم فقط، بل كذلك يدفع الجانب المنتصر وذلك علي حساب سلطته الخاصة [١].

عند فقدان الإنسان للسلطة يصاب بالدوار ويتخبط ويتخذ قرارات لا يجانبها الصواب في الغالب الأعم. في هذه الحالة من عدم الإتزان يلجأ إلى استخدام العنف وممارسة العنف من قبل السلطة لا يحدث إلا إذا تيقن من أن السلطة علي حافة الهاوية، ولا يوجد بديل سوى استخدام العنف. ولكن هل يستطيع العنف الاحتفاظ بالسلطة ؟ نجد الإجابة من خلال ما تقدمه أرندت ونتفق معها في أن العنف يعجز تماماً في الاحتفاظ بالسلطة. واستخدام السلطة المنهارة للعنف لا يخرج عن كونه محاولة يائسة في الغالب لا يكتب لها التوفيق.

إن انتصار العنف علي السلطة يؤدي إلى التفتت الداخلي، الذي يحدث نتيجة الإرهاب الذي يتم ممارسته من أجل الحفاظ علي الهيمنة. والإرهاب ليس هو العنف، لكنه شكل الحكومة التي تمسك بزمام السلطة بعد أن يكون العنف دمر كل سلطة، وأخضع كل شيء لسيطرته[٢].

وتفرق أرندت بين السلطة التوتاليتارية القائمة علي الإرهاب وبين الطغيان والديكتاتورية القائمين علي العنف " لأن التوتاليتارية لا تقف فقط ضد أعدائها، بل تقف كذلك ضد أصدقائها. وأن ذروة الإرهاب حين تبدأ الدولة البوليسية بإلتهام أبنائها، عندئذ يصبح جلاد الأمس ضحية اليوم. وفي هذه الحالة أو عند الوصول إلى تلك المرحلة تختفي السلطة تماماً ولم يعد لها وجود "[٣].

---

[1]) Arendt ,A , On Violence , P,48.

قارن أيضاً : حنة أرندت ـ في العنف ص ٤٨.

[2]) Ibid,P,49.

قارن أيضاً : حنة أرندت ـ في العنف ص ٤٩.

[3]) Ibid,P,50.

المرجع السابق ص ٥٠ .

وفي تناول يتصف بالعمق تعبر أرندت عن موقفها . وذلك فيما يتعلق بالفرق بين السلطة والعنف . بشكل واضح ليس فيه غموض حين تذهب إلى القول بأن السلطة ليست هي العنف. ليس ذلك فقط بل يوجد بينهما فرقاً شاسعاً يصل إلى أنهما يتعارضان " فعندما يحكم أحدهما حكماً مطلقاً يكون الآخر غائباً. ويظهر العنف عندما تكون السلطة مهددة، وإذا ترك دون مقاومة تكون النتيجة المحققة هي اختفاء السلطة. إن العنف بإمكانه أن يدمر السلطة، لكنه قطعاً يعجز عن خلقها " [١].

وتحذرنا أرندت من أننا اذا اقتصرنا الكلام من خلال مصطلحات بيولوجية في مجال السياسة، سيكون بمثابة تعضيد للعنف. لأن ذلك يعني ارتباط العنف بأمور الطبيعة. وفي اعتقاد أرندت أنه ليس ثمة ما من شأنه أن يكون من الناحية النظرية أشد خطراً من تقاليد إسقاط الفكر العضوى علي المسائل السياسية. حيث يتم تفسير السلطة والعنف انطلاقاً من المصطلحات البيولوجية. فكما تفهم هذه المصطلحات اليوم، سيعني أن الحياة وخلق الحياة المزعوم، هما ما يشكله القاسم المشترك بينهما، مما يستدعي تبرير العنف علي خلفية فعل الخلق نفسه [٢].

ونحن نتفق مع ما تذهب إليه أرندت من ان مثل هذه التفسيرات البيولوجية لا تخرج عن كونها تبرير للعنف الذي يمارسه الانسان لا عن إراده حرة، ولكن نتيجة خلل موجود في طبيعة الإنسان العضوية، ويعجز في السيطرة علي نزعة العنف سواء كان هذا العنف فردياً او جماعياً.

وعندما نتعامل مع بعضنا البعض يجب أن نتعامل من منطلق أن الانسان ليس جماداً أو حيواناً، ولكنه سيظل إنساناً. ويجب أن تكون نظرتنا إلى الإنسان علي أنه كائن عاقل مسئول ويستطيع أن يهذب من سلوكه، ويمتلك الإرادة التي تساعده في

---

[1]) Arendt ,A , On Violence ,P,50.

قارن أيضاً : حنة أرندت ـ في العنف ص ٥٠.

[2]) Ibid,P,67.

المرجع السابق ص ٦٧.

تحقيق ما يسعى إليه. ولكن تبرير العنف من خلال أن الإنسان الذي يمارسه رغماً عنه ولا يستطيع السيطرة عليه نتيجة خلل عضوي ليس في استطاعته السيطرة عليه أو الابتعاد عنه، لا يخرج عن كونه تثبيط للإرادة الإنسانية.

وإن حديثنا عن مصطلحات بيولوجية يتم توظيفها في عالم السياسة يعني الإذعان الذي لا مفر منه في أن من يمارس العنف نتيجة خلل في طبيعته العضوية، وغير مسئول عما يحدث، يؤدي هذا إلى تبرير العنف وعدم إمكانية تجاوزه. ولكن سيظل الإنسان إنسانا بإرادته الحرة وقدرته التي ليس لها حدود.

إن هذا الموقف يجعلنا نستشهد بموقف جون ستيوارت مل من حرية الإرادة، فنجد دفاعه " عن الحرية في المجال العملي دفاعاً مجيداً، فمن ناحية نجد أن مل قد أنكر وجود الفعل الحر بالمعني الميتافيزيقي للكلمة، ومن ناحية أخرى نجد أنه قد انتصر للحرية في المجال الاجتماعي والسياسي " [1].

إن الإنسان نفسه لا يعي إمكانياته وقدراته إلا عندما يواجه تحديات قد يقع في ظنه أنه لا يستطيع تجاوزها، ولكن بالمثابرة والإصرار يحقق ما يصبو إليه. بالعزيمة والتحدي يستطيع الإنسان السيطرة علي العنف ليس بشكل كامل ولكن علي الأقل محاصرته علي قدر الاستطاعة. وليس أدل علي ذلك رداً علي من يحاول أن يقدم تبريراً للعنف من منطلق بيولوجي، إن العنف ليس كما هو بل يتغير طبقاً للزمان والمكان والتطور الحضاري الذي تحققه الإنسانية.

قطعاً العنف الآن في عصرنا الحاضر بالتأكيد ليس هو العنف الموجود في الأزمنة السابقة. بل أن الإنسانية أصبح لديها عقيدة محددة في أنها تزدري كافة أنواع العنف، ولا تتجاوب أو تتسامح في ممارسة العنف مهما كانت الأسباب والمبررات.

وبمقدار سيطرة النزعة البيروقراطية علي الحياة العامة، بمقدار حجم ممارسة العنف، بمعني أنه كلما كانت سيطرة البيروقراطية علي الحياة العامة شاملاً، أدى هذا

[1] د . زكريا ابراهيم ـ مشكلة الحرية ص ٥٤ .

إلى ممارسة العنف بشكل أشمل وأوسع. لأن النظام الذي تستحوذ عليه البيروقراطية وتسيطر عليه سيطرة شبه عامة، في هذه الحالة لا يوجد أحد يمكن الحوار معه، أو جهة من الممكن أن نتقدم إليها بمطالب لأن " البيروقراطية هي نظام الحكم الذي يكون فيه كل إنسان فاقداً تماماً للحرية السياسية، وعدم القدرة على الفعل. لأن حكم لا أحد هو لا حكم. وحين يتساوى الجميع في قلة حيلتهم، عندئذ نجد طغياناً بدون طاغية "[١].

تنتقد أرندت البيروقراطية، وتري أنها سلطة تعسفية يتم توجيهها من خلال جهاز بيروقراطي يقوم بإصدار أوامره التي تتصف بالسرية من أجل إحكام سيطرته على أفراد المجتمع. وهذا يعني أن البيروقراطية لها دور مؤثر في احتكار السلطة، ومن أدواتها الاستعانة بالعنف لتتمكن من السيطرة التامة. وإذا كانت أرندت تهاجم الهيمنة البيروقراطية وتعتبرها مشكلة يجب إيجاد حلاًّ لها، فإنها بذلك تتفق مع ماكس فيبر، في موقفة المناهض للبيروقراطية[٢] .

حيث يتم تعيين الموظف البيروقراطي . كما يذهب فيبر . من قبل سلطة أعلى. وأن وجود انتخاب رسمي لا يعني أنه ليس هناك تعيين . خفي خلف الانتخاب . في الدولة. خاصة التعيين من قبل رؤساء الحزب. وسواء أكانت الحالة هكذا أم لم تكن، فإنها لا تعتمد علي أوضاع قانونية، ولكن على الطريقة التي تؤدي فيها آليه الحزب عملها. وعندما تنتظم الأحزاب وتقوى، فإنها تستطيع أن تجعل انتخاباً رسمياً حراً مجرد هتاف، وتصفيق لمرشح عينه رئيس الحزب مسبقاً[٣] .

---

[1]) Arendt ,A , On Violence ,P73.

قارن ايضاً : حنة أرندت ـ في العنف ص ٧٣.

[2]) Canovan ,Margoret , The Political Thought Of Hannah Arendt ,London ,Everyman's University Press,P,39.

[٣]) ج . تيموتر روبيرتس ـ أيمي هايت ـ من الحداثة الي العولمة ـ ترجمة سمر الشيشكلي ـ مراجعة ـ محمود ماجد عمر ـ عالم المعرفة ـ الجزء الاول ـ العدد ٣٠٩ ـ ٢٠٠٤ ص ١٢١ .

ثانياً : الحياة العملية

مفهوم الحياة العملية عند أرندت يتضمن ثلاثة أنشطة بشرية هي العمل والأثر والفعل. ويرتبط العمل بالمسار البيولوجي للجسم الإنساني، والوضع الإنساني للعمل هو الحياة. والأثر يعني عالماً صناعياً من الأشياء يختلف عما هو طبيعي. بينما الفعل يضع الإنسان في علاقة مباشرة مع الكثرة وليس في حاجة إلى الأشياء أو المادة، وتعد الكثرة هي الشرط الأساسي لكل حياة سياسية[١] .

إن الكثرة هي القرار الأساسي للفعل الإنساني، لأننا جميعاً متشابهون بمعني أننا جميعاً بشر، وفي الوقت ذاته لا أحد منا يماثل الآخر. إن العمل يعتبر الشرط الأساسي ليس لبقاء الفرد فقط بل يتضمن بقاء النوع بأكمله. أما الأثر فيعطي عالماً من إنجاز الإنسان. ولكن الفعل يرتبط مباشرة بالولادة، التي تعني أن القادم الجديد يمتلك الإمكانية في تقديم الجديد أي الفعل. والفعل يعبر بشكل مباشر عن النشاط السياسي[٢].

وهكذا نجد أن العمل والأثر والفعل تمثل الأنشطة المتعلقة باستمرارنا في العالم. والعمل والأثر والفعل كل منهم مستقل عن الآخر. فالعمل يرتبط باحتياجاتنا البيولوجية من إنتاج وإستهلاك. والأثر يتمثل في قدرته علي تهيئة عالم مناسب للاستخدام الإنساني. وأما الفعل يتمثل في الإفصاح عن أحقيتنا في الحرية. ومن هذا المنطلق فإن العمل والأثر مختلفين عن الفعل وإن كانا لهما دور مهم في تهيئة المناخ في الفعل خلال الممارسة الإنسانية[٣] .

---

[1]) Arendt ,Hannah The Human Condition ,Introduction By Margaret Canovan ,The University of of Chicago Press, Second Edition ,1998,P, 7.

قارن أيضاً : حنة أرندت ـ الوضع البشري ـ ترجمة هادية العرقي ـ مكتبة الفجر الجديد ـ لبنان ص ٢٧.

[2]) Ibid,PP,8,9 .

المرجع السابق ص ٢٨ ، ٢٩ .

[3]) Maurizio , Passerin d'Entreves – The Political Philosophy of Hannah Arendt ,P,66.

إن جميع الأنشطة الإنسانية ترتبط ارتباطاً ضرورياً بالعيش في المجتمع، ولا يمكن أن يوجد الفعل خارج المجتمع الإنساني، وأن نشاط العمل ليس في حاجة إلى حضور الآخرين. وأن الفعل وحده هو الذي يلتصق بالإنسان، ولا يتم إلا من خلال الحضور الدائم للآخرين [١].

وحتي يكون المرء سياسياً فإن ذلك يعني أنه يعيش في مدينة وأن وسيلة التفاهم تتم من خلال الكلمات، والإقناع بعيداً عن القوة والعنف. فإن الضغط من خلال العنف، وإصدار الأوامر بدلاً من الإقناع، كانت تتم للتعامل مع الناس خارج المدينة، في المنزل، والحياة العائلية، حيث التعامل بسلطة حازمة واستبدادية[٢] .

فالوجود الطبيعي للبيت يتواجد من خلال الضرورة، وأن تلك الضرورة تتحكم في كل الأنشطة المتعلقة به. أما المدينة فهي علي العكس تماماً لأن مجالها الحرية، واذا كانت هناك علاقة بينهما، فإنها تتمثل في أن العائلة تتحمل ضروريات الحياة من أجل أن تتمتع المدينة بالحرية[٣].

إذن هناك اختلاف واضح بين المدينة وبين الأسرة، لأن المدينة لا تعرف سوى أناس متساويين بينما الأسرة تعني اللا مساواة. وإن الحرية تعني أن يكون الإنسان الحر متجاوزاً ضروريات الحياة ولا يقع تحت إمرة طرف آخر. إذ تنتفي الحرية في مجال الأسرة، لأن رب العائلة هو سيدها، وكان يعتبر حراً فقط لامتلاكه القدرة علي الخروج من البيت، والدخول في المجال السياسي[٤].

---

[1]) Arendt ,A, The Human Condition ,PP, 22,23

قارن أيضاً : حنة أرندت ـ الوضع البشري ص ٤٣ ، ٤٤ .

[2]) Arendt ,A, The Human Condition ,P, 26.

قارن أيضاً : حنة أرندت ـ الوضع البشري ص ٤٨ .

[3]) Ibid,PP,30,31 .

المرجع السابق ص ٥٢.

[4]) Ibid,P,32.

المرجع السابق ص ٥٣ ، ٥٤.

ومن الواضح أنه ليس كل شكل للاتصال الإنساني وليس كل نوع من المجتمعات متصفاً بالحرية. فحينما يعيش الناس معاً، ولكن لا يشكلون كياناً سياسياً . كما في المجتمعات القبلية علي سبيل المثال أو في الحياة المنزلية الخاصة . فالعوامل التي تحكم أفعالهم وسلوكهم ليست الحرية، وإنما ضرورات الحياة، والانشغال بالحفاظ عليها. علاوة علي ذلك، حيثما لا يصبح العالم الذي صنعه الإنسان مسرحاً للفعل والقول كما في المجتمعات المحكومة بشكل استبدادي تؤدي إلى طرد رعاياها إلى ضيق المنزل، وفي هذه الحالة تمنع نهوض أو تقف عائقاً في نهوض عالم السياسة[١].

يوجد اختلاف عميق بين التصور الحديث والتصور القديم للسياسة، لأن العالم الحديث يتداخل فيه المجال الاجتماعي والمجال السياسي، وان السياسة ترتبط ارتباطاً مباشراً بوظيفة المجتمع وأن الاقتصاد وكل المشاكل التي ارتبطت قديماً بالمجال العائلي، أصبحت حديثاً اهتمامات جماعية. يعني هذا أن المجالين يتداخلان باستمرار في العالم الحديث ليس فقط بل يمتزجاً معاً [٢].

وهكذا نجد أن المجال العمومي يمثل كل ما يظهر، ويمكن أن يراه الجميع ويسمعوه، وهو يعني أكبر مساحة من الإشهار. وبالنسبة إلينا فإن الظاهر يتجسد في الشئ الذي يرى ويسمع من قبل الآخرين مثلماً يرى ويسمع من قبلنا تماماً، وهذا يعبر عن الواقع تعبيراً حقيقياً[٣].

إن المجال العمومي يعني أن العالم يتحول إلى تجمع للبشر، ويحدث ترابط بين بعضهم البعض. وإذا كان العالم ينبغي أن يتضمن فضاء عاماً، فإن ذلك الفضاء

---

[1]) Arendt , A ,Between Past and Future,P,148.

[2]) Arendt ,A The Human Condition,P,33 .

قارن أيضاً : حنة أرندت ـ الوضع البشري ص ٥٤ .

[3]) Ibid,P,50 .

المرجع السابق ص ٧١.

يجب أن يتم تشييده ليس من أجل جيل واحد من البشر، ولكن ينبغي تشييده أيضاً من أجل الأجيال القادمة[١].

يعد المجال الخاص علي النقيض تماماً عن المجال العام. فإن كنا نعيش حياة خاصة بالكامل يعني ذلك أننا نتقوقع علي أنفسنا، وألا نستمتع بالواقعية، التي تأتي إلينا من كوننا نري الآخرين ويسمعوننا. والإنسان عبر المجال الخاص لا يظهر، يؤدي ذلك إلى فقده أهم ما يميز الإنسان ألا وهو الوجود. وأن كل ما يفعله يظل بدون معني وأيضاً بدون نتيجة للآخرين، وما يحدث له كذلك لا يلفت نظر، أو يهتم به الآخرون [٢].

وفي العصر الحديث تم الانتصار للعمل والرفع من شأنه، ولقد ذهب ماركس إلى أن العمل هو الذي خلق الإنسان، وأن العمل لا العقل هو الذي يميز الإنسان عن الحيوانات الأخرى[٣].

واتساقاً مع ذلك يذهب ماركس إلى القول بأن العمل فقط هو مصدر القيمة، وأن فائض وقت العمل هو مصدر فائض للقيمة. ونجد أن العامل يبذل مجهوداً في العمل لا يتناسب مع الأجر الذي يتقاضاه، وطالما أن العامل ينتج قيمة أثمن مما يدفع له، فإن عملية الإنتاج الرأسمالي ليست أكثر من نظام استغلالي، مثل النظام العبودي، والإقطاعي الذي يجبر العبد أو العامل علي العمل في ظلها بدون مقابل[٤].

---

[1]) Ibid,P,55 .

المرجع السابق ص ٧٦.

[2]) Ibid,P,58.

المرجع السابق ص ٧٩.

[3]) Ibid,P,86.

المرجع السابق ص ١٠٨ .

[٤]) سدني هوك ـ التراث الغامض ماركس والماركسيون ـ ترجمة سيد كامل زهران ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٨٦ ص ٤٣ .

ولن يتخلص العمال تلقائياً من الظلم الواقع عليهم، إلا من خلال ثورة تمكنهم من تجاوز واقعهم المتردي، والقهر الذي يمارس عليهم(١).

إن الاحترام والتقدير للعمل وانتقاله من الوضع الأكثر احتقاراً إلى المنزلة الأرفع باعتباره الأكثر تقديراً من بين الأنشطة الإنسانية، قد بدأ ذلك عندما اكتشف لوك أن العمل مصدر كل ملكية، وأقر آدم سميث أن العمل مصدر كل ثروة، ووجد ذروته عند ماركس. حيث أصبح العمل مصدر الإنتاج وأكثر تعبيراً عن الإنسانية(٢).

يعد عمل أيدينا متميزاً عن عمل أجسادنا، والإنسان الصانع هو الذي يفعل ويجتهد، وهو في الوقت نفسه متميز عن الإنسان العامل الذي يشقى. والإنسان الصانع يقدم التنوع اللانهائي للأشياء التي يمثل مجموعها الصناعة الإنسانية (٣).

تمثل الصناعة حرفة الإنسان الصانع في تعامله مع الأشياء. والمادة ليست معطاه مثل غلال الحقل والأشجار، التي بإمكاننا جمعها أو تركها. ومن صفات الإنسان الصانع أنه محطما للطبيعة. والإنسان العامل يظل دائماً خادم للطبيعة، في المقابل نجد الإنسان الصانع وحده هو سيد الطبيعة والمسيطر عليها. فإذا كان الخلق من العدم ينسب إلى الإله في أديان التوحيد، فإن الإنسان يخلق من جوهر معطي. فإن تشييد عالماً من صنع الإنسان يتم بعد تحطيم جزء من الطبيعة التي خلقها الله(٤) .

وهكذا نجد أن الإنسان يمثل المحور الأساسي الذي عليه وحده تؤسس الحضارة. وأن الإنسان سواء كان يعمل أو يصنع أو يفعل في النهاية كلها أشياء متداخلة ومن

---

[1]) Marx,karl, Economic and Philosophical Manuscrints of 1944, Robert C. Tucker , New York , 1976,P,90.

[2]) Arendt ,A The Human Condition,P, 101.

قارن أيضاً : حنة أرندت ـ الوضع البشري ص ١٢٣ .

[3]) Ibid,P 136 .

المرجع السابق ص ١٥٧.

[4]) Ibid,P 139 .

المرجع السابق ص ١٦٠

خلالها تحقق الإنسانية تقدمها. وإذ كنا نتناول فكر أرندت السياسي، لأن للسياسة دورها المتميز والمتفرد والذي لا يمكن تجاهله. لأن التأثير السياسي علي المجتمعات يعد تأثيراً قوياً سواء بالإيجاب أو السلب. وليس بخافِ علينا ما حدث في القرن العشرين من حربين عالميتين ترتب عليهما مآسى إنسانية. وهذا يعني أهمية السياسة في استقرار المجتمعات أو اضطرابها. والسياسة عند أرندت ترتبط ارتباطاً مباشراً بالفعل.

إن الشرط الأساسي لكل من الفعل والكلام يرتبط مباشرة بالكثرة الإنسانية، وأن هناك ازدواجية تتمثل في المساواة والتميز. وأن التساوي بين الإنسانية يجعل وجود إمكانية لأن يفهم بعضهم البعض، وأن يفهموا من كان قبلهم وأن يتوقعوا حاجات من سيأتون بعدهم. وفي الوقت نفسه هناك تميز بين الإنسانية حيث يوجد تميز بين إنسان وإنسان آخر مما وجدوا أو من هم متواجدون معه، أو من سيأتون بعده. مثل هذا التميز يجعل الإنسانية في حاجة إلى الكلام والفعل، حتي يحدث التفاهم بين الإنسانية[١] .

يعد الفعل عند أرندت أساس نظريتها السياسية، وتناولته أى الفعل من خلال ارتباطه بالحرية والحوار والمشاركة. والسياسي في حاجة إلى الكلام الذي من خلاله يستطيع ان يعبر عن وجه نظره. وهنا لا يقتصر علي مجرد الكلام، ولكن مقدرته على أن يستخدم الكلام بفصاحه حتي يستطيع أن يوضح رؤيته السياسية. وبناء علي ذلك فإن تواجدنا مرتبط بشكل مباشر بالعمل والكلام[٢].

إن الكلام والفعل يكشفان بشكل مباشر التميز والتفرد بين الإنسانية. من خلال الكلام والفعل تظهر الإنسانية أمام بعضها البعض ليس باعتبارهم أشياء مادية بل

---

[1]) Arendt ,A The Human Condition,PP, 175,176.
قارن أيضاً : حنة أرندت ـ الوضع البشري ص ١٩٧.

[2])Anthony F. Lange Jr .John Williams ,Hannah Arendt and International Relations Reading across the Lines ,Palgrave Macmillan , 2005 ,P,4.

بكونهم أناس. وهذا الظهور يتميز عن مجرد الوجود الجسدي، لأنه ظهور يستند إلى المبادرة ولكنها مبادرة لا يمكن لأى إنسان أن يتجنبها إذا أراد أن يظل إنساناً. أن الحياة من دون كلام أو من دون فعل تعني أنها والعدم سواء، ولا نستطيع في هذه الحالة أن نعطيها صفة الحياة الإنسانية [١].

ندخل إلى العالم الإنساني بالقول والفعل، وهذا الدخول يشبه ولاده ثانية. وهذا يعني تحملنا المسئولية بعدما تسني لنا أن نظهر جسدياً " إنها ليست بداية شيء ما، بل هي بداية شخص ما. فمع خلق الانسان أتى مبدأ البداية إلى العالم نفسه، وهنا نستطيع القول أن مع هذه البداية تتواجد الحرية التي يتزامن وجودها مع خلق الانسان وليس قبل ذلك "[٢].

إن قدرة الإنسان علي الفعل تعني أننا يمكن أن نتوقع منه ما هو غير متوقع، وبإمكانه تأدية ما هو مستبعد بشكل غير محدود. ويعد هذا تعبيراً عما هو جديد، لأن كل إنسان متميز ومع كل ولاده يحدث شيء جديد في هذا العالم. وفيما يتعلق بهذا الشخص المتميز والجديد يمكن أن يقال أنه لم يكن هناك من قبل. وإذا كان الفعل يطابق مسألة الولادة، من هذا المنطلق نجد أن الكلام يطابق مسألة التميز ويتسق مع الوضع الإنساني الذي يتصف بالكثرة. وهذا يعني أن الإنسان يعيش باعتباره كائنا متميزاً، ومختلفاً بين أناس متساويين[٣].

وللأهمية التي توليها أرندت للكلام ودوره نجد تأكيدها . كما أشرنا سابقاً . المستمر علي أهمية الكلام وأن الفعل بدون كلام لن يكون فعلاً، لأنه في هذه الحالة لن يكون هناك فاعل، لأن الفاعل القائم بالأفعال لا يمكن فصله عن قائل الكلمات " لان الفعل

---

[1]) Arendt ,A The Human Condition,P,176 .

قارن أيضاً : حنة أرندت ـ الوضع البشري ص ١٩٨ .

[2]) Arendt ,A The Human Condition,P, 177.

قارن أيضاً : حنة أرندت ـ الوضع البشري ص ١٩٩.

[3]) Ibid,P 178.

المرجع السابق ص ٢٠٠.

الذي يبدأه نراه فقط من خلال العبارة، وعلي الرغم من أننا يمكن أن ندرك الفعل في مظهره المادي من غير اقترانه بالعبارة، فإن الفعل في هذه الحالة لا يكتسب المعني إلا من خلال العبارة المنطوقة، التي بها يعبر الفاعل عن نفسه باعتباره فاعلاً "[١].

وليس بخافٍ علينا ارتباط الفعل بالحرية عند أرندت. والإنسان لا يعرف شيئاً عن الحرية الباطنة، إذا لم يعايش أولا حالة الوجود بحرية كواقع دنيوي ملموس. نحن نصبح أولا على وعى بالحرية أو مضادها في اتصالنا بالآخرين، وليس في الاتصال بأنفسنا. وقد تم فهم الحرية علي أنها حالة الإنسان الحر، التي مكنته من الحركة والإبتعاد عن الموطن، والخروج إلى العالم ومقابلة الآخرين في الفعل والكلمة.. وقد احتاجت الحرية . بالإضافة إلى التحرر المجرد . مرافقة الآخرين في نفس الحالة واحتاجت فراغاً أو حيزاً مشتركاً لمقابلتهم، وعالماً منظماً سياسياً، بمعني آخر عالم يستطيع كل واحد من الأحرار أن يقحم نفسه فيه بالكلمة والفعل [٢].

إن كل الأنشطة الإنسانية يلعب فيها الكلام دوراً ثانوياً، لأن دوره لا يتجاوز كونه وسيلة تواصل. ومن الممكن أن نستخدم علامات مثلما الحال في الرياضيات أو في اختصاصات علمية أخري. لكن فيما يتعلق بالفعل فإن هناك صعوبة في أن نفصل بين الكلام والفعل أو بمعني آخر لا يوجد نشاط إنساني يحتاج إلى الكلام مثلما يحتاج إليه الفعل[٣].

إن الفعل يتميز عن الصناعة في أنه لا يمكن أن يحدث منفرداً، وأن حياة الفرد منفرداً تعني أنه لا يمتلك القدرة علي الفعل. إن الفعل والكلام لا يتسنى لهما الحدوث إلا من خلال وجود الآخرين، في المقابل نجد أن الصناعة محاطه بالطبيعة

---

[1]) Ibid,PP,178,179

المرجع نفسه .

[2]) Arendt ,Hannah ,Between Past and Future,P,148.

[3]) Arendt ,A The Human Condition,P,179.

قارن أيضاً : حنة أرندت ـ الوضع البشري ص ٢٠١ .

لارتباطها بالمادة، وهي في علاقة ثابتة. إن الفعل والكلام، هما وجهان لعمله واحدة، ومن المستحيل فصلهما عن بعضهما البعض[١] .

أن المدينة . وهي ليست المدينة بالمعني اليوناني . إنما هي تنظيم للشعب، ونجد هذا في الفعل والكلام معاً. والفضاء الحقيقي يمتد بين البشر الذين يعيشون معاً. إن الفعل والكلام يرتبط وجودهما بالمشاركين في فضاء أيا كان الزمان والمكان. وأن فضاء الظهور بالمعني الأوسع للكلمة أى الفضاء الذى أظهر فيه للآخرين مثلما يظهر الاخرون لي، وحيث يوجد البشر بالمعني الأوسع للكلمة. إن واقعية العالم للإنسانية مشروطة بالحضور مع الآخرين، ومن خلال ظهوره للجميع لأن ما يظهر للجميع هو ما نسميه الوجود، وكل مالا يظهر يفتقد الواقعية[٢] .

وتذهب أرندت إلى القول بأن " مونتسيكو " هو آخر مفكر سياسي اهتم بأشكال الحكم. ولقد ذهب "مونتسيكو" إلى أن الطغيان يرسخ للانعزال، سواء كان انعزال الطاغية عن رعاياه، وانعزال الرعايا عن بعضهم البعض من خلال الخوف، والشك يعني أن الطغيان لم يكن ضمن أشكال الحكم، لأنه يتناقض مع شرط الكثرة الإنساني الذي يعد المنطلق الواقعي للفعل و الكلام معاً، كذلك شرط كل أشكال التنظيم السياسي[٣].

وهكذا نجد أن الطاغية يمثل مصدر قلق وعدم استقرار للمجتمعات الإنسانية، إنه إنسان لا يحترم القيم الإنسانية ولا سيما قيم الحرية. وهناك فرق شاسع ما بين الطغاة في العصر اليوناني وما بين الطغاة في عصرنا الحديث. فإذا كان " الطغاة اليونان كانوا يشبعون شهواتهم ومصالحهم الخاصة، فقد تكون شهوات طغاة

---

[1]) Ibid,P,188.

المرجع السابق ص ٢١٠.

[2]) Ibid,PP,198,199

المرجع السابق ص ٢٢٠ ، ٢٢١.

[3]) Ibid,P,202.

المرجع السابق ص ٢٢٤ .

اليوم أوسع وأعمق كتكوين إمبراطورية، أو إقامة أمجاد زائفة لأنفسهم، أو إعادة فكرة تاريخية عفا عليها الزمان ! "[١].

وتقدم أرندت تعريفاً للطاغية تذهب فيه إلى أن جميع النظريات السياسية المتعلقة بالطغيان تتفق علي أن " الطاغية هو الحاكم الذي يحكم باعتباره واحداً ضد أو في مواجهة الجميع، والجميع الذين يقمعهم جميعهم متساوون، وبالتحديد متساوون في العجز، علي نحو متساو " [٢].

[١]) د . إمام عبد الفتاح إمام ـ الطاغية ـ سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ـ العدد ١٨٣ ص١٤٠.

[2]) Arendt ,Hannah ,Between Past and Future,P,99 . .

الفصل الثالث : مدخل إلى التوتاليتارية

أولاً : التوتاليتارية والجماهير

ثانياً : التوتاليتارية بين الدعاية والتنظيم

ثالثاً : التوتاليتارية والسلطة

الفصل الثالث

مدخل إلى التوتاليتارية

أولاً : التوتاليتارية والجماهير

نجد أن الدولة الشمولية تمثل كتلة واحدة، وترفض مبدأ فصل السلطات او بأى شكل من أشكال الديمقراطية التي عرفها الغرب. وكل معارضة لهذا الكل تحطم بالقوة، فلا رأي، ولا تنظيم، ولا تكتل خارج سلطة الدولة. وفي مقال نشره الفيلسوف الإيطالي جيوفاني جنتيلي Giovanni Gentile " (١٨٧٥- ١٩٤٤) بالإنجليزية عام ١٩٢٨ بعنوان " الأسس الفلسفية للفاشية" تناول صفة Totalitarian بمعني الإحاطة والشمول واحتواء كل شيء في وصفه للنظام الفاشي [١].

والحكومات الشمولية هي نظام السلطة الواحدة وترفض تماماً تعدد السلطات داخل الدولة. وكذلك ترفض التعددية بكل أشكالها سواء كانت حزبية أو غير حزبية، وتخضع لقيادة الزعيم الواحد، والأيديولوجيا الواحدة. وترفض تماماً وجود معارضة، وإن وجدت تتعامل معها بكل قسوة وعنف [٢].

إن الدهشة التي تتملكنا تتمثل في اللامبالاة التي تسيطر علي الجماهير المنضوية تحت سيطرة الحكم الشمولي. ومن الملفت للنظر أيضاً ان سيطرة القادة التوتاليتارية تظل مستمرة طالما ظلوا علي قيد الحياة. دليلنا علي ذلك أنه بموت هتلر أغفل ذكره الناس إغفالاً تاماً وأصبح لا يؤدى أي دور، حتي في صفوف الفرق الفاشية الجديدة والجماعات النازية الجديدة في ألمانيا. يرتبط هذا بنفسية الجماهير المتقلبة. معني

---

١) د . إمام عبد الفتاح إمام ـ الطاغية دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي ـ عالم المعرفة ـ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ـ ١٩٩٣ ص٦٤ .

2) Anthony F. Lange Jr. .John Williams ,Hannah Arendt and International Relations Reading across The Lines ,Palgrave Macmillan , 2005 ,P,14.

هذا أن التوتاليتارية لا تستمر في السلطة إلا بمقدار ما تدفع كل ما يحيط بها إلى الحركة[١].

ويتصف الحكم الشمولي بالتأييد الجماهيري الكاسح. ومن المفارقات التي تلفت نظرنا أن هتلر قد وصل إلى السلطة ليس بمؤامرة أو أنقلاب، ولكن بصورة شرعية، وفق قاعدة الأغلبية الحاكمة. وما كان يتسنى له أو لستالين من فرض سيطرتهما علي شعوب عريضة باسرها، وأن يصمدوا في وجه أزمات داخلية وخارجية عديدة، لو لم يكونا حائزين علي رضا الجماهير وثقتها[٢].

وإذا كانت أرندت تتناول الجماهير علي أنهم مارسوا دوراً أساسياً في ترسيخ التوتاليتارية، نتيجة موقفهم الذي يتسم بالسلبية واللامبالاة. نجد " أورتيجا " يتفق مع أرندت في وصفها للجماهير. فيذهب أورتيجا إلى القول بأن الإنسان الجماهيري لا يمتلك في حياته أي هدف، وهو من يرغب في التخلص من المتميزين، وهو لا ينجز شيئاً علي الرغم من قدراته وإمكاناته الهائلة [٣].

وبشكل عام نجد أن الحركات التوتاليتارية في الغالب تسعي إلى تنظيم الجماهير، ويحدث ذلك علي خلاف الأحزاب القائمة علي المصالح والتي تهتم فقط بالطبقات. وغالباً ما يحدث في أعقاب الحدث الجلل، خلل يصيب المجتمعات، أو بتعبير آخر هزة عنيفة تحدث لهؤلاء الذين عاصروا مثل هذه الأحداث المزعجة. ومن الأحداث التي أصابت العالم بالصدمة ولا سيما في المجتمعات الأوربية التي اندلعت منها الشرارة الأولى للحرب العالمية الأولي وكذلك الثانية. فنجد أن نتيجة الحرب العالمية الأولي تعرضت أوروبا إلى موجه من الحركات شبه التوتاليتارية، والتوتاليتارية، تظهر

---

[1]) Arendt ,A , The Origins of Totalitarianism ,New York ,Harcourt ,1951,P306.
قارن أيضاً : حنة أرندت ـ أسس التوتاليتارية ـ ترجمة أنطوان أبو زيد ـ دار الساقي ـ الطبعة الاولي ـ ١٩٩٣ ص ٣١ .

[2]) Loc – Cit.
المرجع السابق ص ٣٢.

[3]) Ortega Gasset Jose , The Revolt Of The Masses , Unwin Books ,London,Thied in Pression,1969,P,49.

العداء للديمقراطية وتؤيد الديكتاتورية. كما انتشرت الحركات الفاشية في كل بلدان، أوروبا الوسطي والشرقية تقريباً. ومع ذلك نجد أن موسوليني نفسه اكتفي بأن أرسى دعائم ديكتاتورية الحزب الواحد[١].

توجد الحركات التوتاليتارية حيثما توجد الجماهير التي يتملكها رغبة لا تقاوم في الإنتظام السياسي لسبب أو لآخر. إن الجماهير في هذه الحالة لا يوحدها مصالحها المتداخلة والمتشابكة، ولكن الغريب أن تلك الجماهير تفتقد تماماً إلى الوعي. وأن تلك الجماهير تنطلق من كونها قد أصابها العجز بسبب اعدادهم المحضة أو لسبب اللا مبالاة التي سيطرت عليهم عند الاندماج في التنظيمات القائمة علي الصالح المشترك، سواء كانت أحزاب سياسية، أو مجالس بلدية، أو تنظيمات مهنية، أو نقابية. وأن الجماهير متواجدة وبكثره في كل بلدان العالم، وتمثل الأغلبية من الناس الحياديين، واللامباليين سياسياً، ونادراً ما يصوتون، وبالتالي لا توجد لديهم أي انتماءات حزبية[٢]

ومما يعضد وجهة النظر القائلة بأن الجماهير هم أناس أصابتهم أمراض المجتمعات الحديثة التي أشعرتهم بالعجز، وحولتهم إلى مجرد أعداد، وتأثيرها محدود، علي الرغم من أنهم يمثلون الأغلبية، وجدنا ذلك واضحاً عند انطلاق " الحركات النازية في ألمانيا والحركات الشيوعية في أوروبا بعد عام ١٩٣٠. نجد اجتذابها أنصار من هذه الجماهير اللامباليين، والذين كانوا موضع رفض من الأحزاب جميعاً، لاتصافهم بالبلادة والحماقة، مما يصرف النظر عنهم. ترتب علي ذلك أن غالبية المنتسبين إليها كانت من أناس لم يقدر لهم الظهور علي الساحة السياسية من قبل،

---

[1]) Arendt ,A , The Origins of Totalitarism,P308.
قارن ايضاً : حنة أرندت ـ أسس التوتاليتارية ص ٣٦ ، ٣٧ .

[2]) Arendt ,A , The Origins of Totalitarianism,P,311 .
قارن أيضاً : حنة أرندت ـ أسس التوتاليتارية ص ٣٦،٣٧ .

وأدى أيضاً إلى إدخال نمطٍ من الدعاية السياسية لم يكن معتاداً من قبل "[١].

إن نشأة الحركات التوتاليتارية ترتبط بمناخ عام يمهد لظهورها يتمثل في أن تكون الجماهير في حالة تفتت وضياع وانعدام للوعي، وتلاشي للرؤية. نجد ذلك واضحاً في التوتاليتارية النازية، والتوتاليتارية البلشفية في اختلافهما البين في ظروف نشأتهما. يعني هذا أن الظروف تتضافر لتؤدي إلى ظهور الحركات التوتاليتارية. لذلك نجدد أن ستالين كان مجبراً علي خلق المجتمع المتشظي هذا خلقاً اصطناعياً، حتي يستطيع أن يحول الديكتاتورية الثورية التي أرساها لينين إلى نظام توتاليتاري كلياً. بينما كانت الظروف التاريخية في ألمانيا هي التي مهدت السبيل أمام النازيين لصنع ديكتاتوريتهم الخاصة. إن انتصار ثورة أكتوبر بسهولة إنما تم في بلد تمكنت منه البيروقراطية الاستبدادية والمركزية، حيث تسود جمهوراً من شعب عديم الشخصية[٢].

ويؤكد بردیائف على أن الثورة الشيوعية من طراز فريد، وإستحالة حدوثها ثانية. لأن الشيوعية غريبة عن المجتمع الروسي، وتنحدر من أبوة أجنبية، وفرضت على الشعب تنظيماً مستبداً ولكى نضع ذلك في لغة أكاديمية، نقول أنها قد عقلت اللامعقول[٣].

إن حملات التطهير في المجتمع الروسي تعني تفكيك كامل لأية روابط للفرد حتي تعزله تماماً. فعندما يتم اتهام فرد ما علي الفور يتحول أصدقاؤه القدامى تلقائياً إلى أعداء، فيسعى هؤلاء إلى تبرئه أنفسهم من انتسابهم إلى هذا الشخص المتهم. ويسعون قدر استطاعتهم اثبات أن علاقتهم به أو صداقتهم معه لم تخرج عن كونها وسيلة تمكنهم من التجسس عليه والإبلاغ عنه باعتباره مخرباً أو عميلاً أجنبياً. يترتب علي

---

[1]) Ibid,PP,311 ,312 .

المرجع السابق ص٣٧ .

[2]) Arendt ,A , The Origins of Totalitarianism,P,318 .

قارن أيضاً : حنة أرندت ـ أسس التوتاليتارية ص ٤٧.

[3]) Berdyaev ,N,the Origin of Russian Communism ,Translated By R.M.French ,Geoffrey Bles ,London,1937,P,159

ذلك أن كل فرد يتوخى أقصى درجات الحذر، يؤدي به ذلك إلى قطع كل صلاته وعلاقته حتي يستطيع أن ينجو بنفسه من هذا الجحيم الذي يصدر عن كل من حوله. بهذه الطريقة تمكن قادة البلاشفة أن يحدثوا مجتمعاً مشتتاً ومتناثراً، لم يكن له مثيل من قبل. ترتب علي ذلك حدوث كوارث ومصائب وأحداث غير مسبوقة تاريخياً[١].

وهكذا نجد أن الحركات التوتاليتارية تتشكل من تنظيمات جماهيرية تتكون من أفراد معزولين لا هدف لهم ويفتقرون إلى الهوية وسلوكهم أقرب إلى القطيع. ونجد أهم ما يميزهم عن كل الأحزاب والحركات الأخرى، يتمثل في الولاء اللا محدود، وغير المشروط من قبل المناضل الفرد إزاء حركته.. ولديهم يقين بأن أيديولوجياتهم المزعومة تمتلك القدرة علي شمول تنظيمهم الجنس البشري بأكمله مستقبلياً[٢].

من خلال ذلك الموقف الذي تتحرك من خلاله التوتاليتارية توصلت من خلال أيديولوجيتها في إحكام سيطرتها علي الجماهير. والقائد التوتاليتاري لا يخرج عن كونه موظفاً عند الجماهير ويقودها وهو ليس فرداً متعطشاً للسلطة. ولما كان القائد موظفاً محصناً، أمكن استبداله في كل لحظة، لأنه رهن إرادة الجماهير ويمثلهم، ومن غيره لن يكون لهم ممثل خارجي، ومن غير الجماهير لا وجود للقائد[٣].

ولقد عبر موسوليني (١٨٨٣ . ١٩٤٥) عن الأنظمة الشمولية في خطاب القاه في ٢٨ أكتوبر عام ١٩٢٥ بقوله (الكل في الدولة، ولا قيمة لشئ إنساني أو روحي خارج الدولة، فالفاشية شمولية، والدولة الفاشية تشمل جميع القيم وتوحدها، وهي التي تؤول هذه القيم وتفسرها، إنها تعيد صياغة حياة الشعب كلها) [٤].

---

[1]) Arendt ,A , The Origins of Totalitarianism,P,323 .
قارن أيضاً : حنة أرندت ـ أسس التوتاليتارية ص ٥٤ ، ٥٥ .

[2]) Arendt ,A, The Origins of Totalitarianism,P,323 .
قارن أيضاً : حنة أرندت ـ أسس التوتاليتارية ص ٥٥ .

[3]) Ibid,P,325 .
المرجع السابق ص٥٧ .

٤) د . إمام عبد الفتاح إمام ـ الطاغية ص٦٤ .

ثانياً : التوتاليتارية بين الدعاية والتنظيم

من المفارقات الملفتة للنظر أننا نجد في بداية التوتاليتارية ونقطة انطلاقها تبدأ من الرعاع والنخبة، وشتان بينهما علي كل المستويات. والجماهير هي الفئة التي يتم انضوائها وتؤيد التوتاليتارية من خلال الدعاية. والحركات التوتاليتارية في سعيها للوصول إلى السلطة لا تستطيع استخدام الإرهاب في ظل نظام دستوري ضامن لحرية الرأي. يجعلها هذا تشارك بقية الأحزاب في ضرورة كسب المنتسبين والظهور بمظهر المصداقية إزاء الرأي العام الذي مازال متصلاً بمصادر الاعلام الأخرى.. وإذا كان هناك تلازم بين الإرهاب والحملة الدعائية في البلدان التوتاليتارية، فإن ذلك لا يستمر طويلاً، ولكن استمراره مرتبط بتمكنها من السلطة. وعند ذلك تتبدل الدعاية بالتلقين العقائدي، وتتجه إلى تحقيق عقائدها الأيديولوجية وإثبات مزاعمها التطبيقية أكثر من إخافة الناس(١).

لم يكن لينين فوضوياً، بل رافضاً لكل شكل من أشكالها. ولم يكن من أنصار الهدم لمجرد الهدم وكان في المجال السياسي يدعو إلى سياسة قاسية ولكنه لم يكن هو نفسه قاسياً. وعندما كان يشكو إليه الناس من قسوة البوليس السياسي، كان يؤكد أنه ليس مسئولاً عن هذا، ولكنها قسوة لا يمكن تحاشيها في الثورة(٢) .

تذهب أرندت إلى القول بأن الإرهاب سيظل ملتصقاً بالحركات التوتاليتارية، حتي وإن وجدت في السلطة، ولكن دور الإرهاب في النازية أكبر من دوره في الشيوعية. وليس بخافٍ علينا ما حدث لليهود من تعذيب وقتل وحرق، صحيح أنها جريمة إنسانية، ولكن عندما يعايش إنسان بنفسه هذه المأساة فنجده أكثر تأثراً. حتي إننا نقدم العذر لموقف أرندت المعادي للنازية بشكل مطلق حتي إنها لا تري في تاريخ

---

[1]) Arendt ,A , The Origins of Totalitarianism,P,341.
قارن أيضاً : حنة أرندت ـ أسس التوتاليتارية ص ٧٩ .

[2]) Berdyaev ,N,the Origin of Russian Communism,P,137.

الإنسانية ما هو أفظع مما تعرض له اليهود الألمان. ولكن عندما اغتصب اليهود أرضاً ليست لهم، فإننا نرى في المقابل ارتكابهم جرائم تعذيب وقتل أيضاً ليس لها مثيل في حق أناس لم يكن لهم ذنب سوي أنهم أصحاب أرض تم اغتصابها. وأننا نحترم موقف أرندت من الصهيونية عندما نما إلى علمها الجرائم التي ترتكب في فلسطين فأخذت موقفاً عدائياً وهاجمت تصرفاتهم، فكان رد فعلهم أن أخذت الصهيونية موقفاً عدائياً من أرندت.

وهكذا نجد اعتماد الحركات التوتاليتارية بشكل أساسي علي الحملات الدعائية، من خلال تركيزها علي الخصائص التي تتصف بها الجماهير المعاصرة ألا وهي عدم اعتقادها بشئ مرئي، ولا تثق بما تسمعه وتراه. ولكن اعتقادها الأساسي يرتبط بمخيلتها، وتنبهر بما هو كوني، ومتماسك في نفسه. وهناك شبه اتفاق على أهمية التكرار في الحملات الدعائية الموجهة إلى الجماهير، لأنها تفتقر إلى الفهم وغير قادرة علي التذكر. ومما لا شك فيه أن التكرار لا يكتسب أهميته إلا لكونه يقنع الجماهير بتماسك ظاهرة ما في الزمن. والجماهير في هذه الحالة تستبعد المصادفات، وتبتدع سلطة عليا كونية تتحكم في كل الحوادث والمجريات. ولذلك نجد أن ازدهار الحملة الدعائية التوتاليتارية يتمثل في هروبها من الواقع إلى الوهم ومن المصادفة نحو التماسك[١] .

وتسعي التوتاليتارية لتأسيس عالم ينسجم مع عقائدها. حيث إنه عالم من نسج الخيال ومتسق العناصر، ويلبي حاجات النفس الإنسانية بشكل أفضل من الواقع نفسه. لأن الجماهير بمجرد دخولها إلى هذا العالم الوهمي الأقرب إلى الخيال، تشعر بالأمان والاستقرار بعيداً عن عبث الحياة وتقلباتها واضطرابها " وتجد نفسها بعيدة كل

[1]) Arendt ,A, The Origins of Totalitarianism,PP, 351,352 .
قارن أيضاً : حنة أرندت ـ أسس التوتاليتارية ص ٩٢ ،٩٣ .

البعد عن الضربات المتواصلة التي تكيلها الحياة الواقعية والاختبارات الحقيقية للكائنات البشرية ولآمالها "[١].

واتساقاً مع ذلك الموقف نجد أن النازيين كانوا دائماً يتصفون بالحذر، من استخدام كلمات، كالديمقراطية او الجمهورية، أو الديكتاتورية، أو الملكية، قد تحدد موقفهم، وهم لا يحبذون ذلك. وإمعانا في التفرد وتحقيقاً لأهدافهم بشكل غير محدد ومبهم، حتي لا يستطيع احد أن يتعرف علي هويتهم ويظل دائماً موقفهم لغزاً محيراً، كانوا دائماً ما يتجاوزوا الواقع إلى الوهم، طالما أن هذا يؤدي بهم إلى اكتساب مزيداً من التأييد الجماهيري. ولذلك نجد ان هناك شبه اتفاق علي استبعاد " كل مناقشة حول شكل النظام النازي المقبل، بإعتبارها ثرثرة في شكليات لا معني لها. فالدولة في مفهوم هتلر ماهي إلا وسيلة لإنقاذ العرق، في حين أن الدولة طبقاً للحملة الدعائية البلشفية، ماهي إلا أداة في صراع الطبقات "[٢].

وهنا نجد أنفسنا بإزاء حملة دعائية تتميز بها التوتاليتارية، وتتفوق بها علي كافة الحملات الدعائية للأحزاب الأخرى. وهنا يطرح سؤال نفسه ما هو السبب في ذلك؟ نجد الإجابة التي لا خلاف عليها ألا وهي ابتعاد التوتاليتارية عن الموضوعية، ودغدغة مشارع الجماهير بحملهم إلى عالم متخيل لا علاقة له بما يدور في عالم الواقع المضطرب المتغير المليء بالمشاكل المتداخلة التي لا حصر لها. وهنا تسعى أرندت إلى تقديم توضيح للحملة الدعائية التوتاليتارية بأن مضمونها " لا يعتبر مسألة موضوعية ينبغي للمرء أن يكون له رأي إزاءها، وإنما يصير هذا المضمون في حياتهم عنصراً بين الواقعية وعصياً علي المس شأن قواعد الحساب "[٣] .

---

[1]) Ibid,P, 353

المرجع السابق ص٩٥ .

[2]) Arendt ,A, The Origins of Totalitarianism,P,357.

قارن أيضاً : حنة أرندت ـ أسس التوتاليتارية ص ١٠١ .

[3]) Ibid,P, 363 .

المرجع السابق ص١٠٧ .

وهكذا نجد تميز الحملة الدعائية التوتاليتارية وتفردها، لأنها وسيلتها الأهم على الاطلاق التي تساعدها في الوصول إلى تحقيق أهدافها في السيطرة التامة على الجماهير. إنها حملة دعائية تتصف بالالتزام والجدية التي لا تعرف تهاوناً أو تراخياً من أجل تحقيق ما تصبو إليه.

ثالثاً : التوتاليتارية والسلطة

في السلطة تتحول الأقوال إلى أفعال، وتتعامل مع عالم الواقع بكل ما يتضمنه من إشكاليات وتناقضات وصراعات. ولكننا نجد أن الوصول إلى السلطة في التوتاليتارية لا يعني ذلك تعاملها مع الواقع ولكنها تظل مخادعة في أقوالها ولا تعبر بصراحة عما تقصده، حيث نجد أن " هتلر وستالين ظلا يطلقان وعوداً بالاستقرار وذلك في سبيل أن يحجبا قصدهما في خلق حالة من عدم الاستقرار الدائم " [1].

ولذلك نجد أن وجود التوتاليتارية في الحكم يجعلها تحيا في صراع داخلي ومتناقضات. انطلاقاً من أنها دعوة عالمية للسيطرة علي العالم بأكمله، فكيف لها أن تجد نفسها محاصرة في سلطة محدودة، وكذلك أيضاً أرضاً محدودة. يؤدي ذلك بالقائد التوتاليتاري أن يخوض مهمة مزدوجة مما يجعلها مهمة متناقضة. فمن جهة يحاول أن يهب عالم الحركة المتوهم واقعاً ملموساً، ومن جهة أخرى عليه أن يسعى في جعل العالم غير مستقر. لأن استقرار العالم يعني إنتهاء التوتاليتارية ويترتب علي استقراره أن ينتهي الامل في احتلال العالم بأكمله. لأن الخداع يعد من أساسيات التوتاليتارية، نجد أن هتلر عندما يذهب القول بأن النازية "ليست سلعة مستوردة" وكذلك عندما يذهب ستالين إلى القول بأن الاشتراكية يمكن أن تقام في بلد واحد دون غيره. مثل هذه الأقوال لا تخرج عن كونها تعبيراً واضحاً عن الأسلوب المخادع

[1]) Arendt ,A , The Origins of Totalitarianism,P391 .
قارن أيضاً : حنة أرندت ـ أسس التوتاليتارية ص ١٤٣ .

للتوتاليتارية، لأنها تستمد وجودها واستمرارها من أمرين أساسين ألا وهما عدم استقرار العالم، وكذلك طابعها الكلي في السيطرة علي العالم بأكمله(١).

ولأن التوتاليتارية حتي عند وجودها في السلطة تظل كما هي لا تعرف سبيلاً إلى الاستقرار أو مراجعة نفسها فيما تدعو إليه قبل تمكنها من السلطة. لان ما تؤمن به وتدعو إليه دائماً في عدم امتلاك السلطة بالقطع يختلف عند الاستحواذ علي السلطة. لكن التوتاليتارية لا فرق لديها في وجودها في المعارضة أو في استحواذها علي السلطة. حيث إن القاعدة الأكيدة التي لا خلاف عليها في " الدولة التوتاليتارية، هي أنه كلما كان أعضاء الحكم عرضة للرؤية، تضاءل النفوذ لديهم. وكلما زادت سرية مؤسسة ما أو أحيط وجودها بالكتمان، عندئذ يتعاظم نفوذها بصورة مطردة " (٢).

إن المناهج التوتاليتارية باعتبارها تقنيات للحكم، فإنها تتسم بالبساطة وان فعاليتها مؤثرة بقوة ليس لها حدود. فهي لا تحتكر السلطة فقط، بل لديها ثقة مطلقة في أن أوامرها ينبغي أن تنفذ كما هي وبدقة متناهية لا حدود لها. ان الثقة التوتاليتارية لا حدود لها، وأنها علي يقين من أنها تصل إلى ما تريد وتحقق كل ما تصبو إليه دون الالتفات إلى المعوقات أو إلى كل ما من شأنه أن يعوق مسيرتها. وأنها لا تتعرض للصدمات. لأن الهيكل السياسي للدولة ليس له شكل محدد، وبالتالي لا تتعرض لما تتعرض له كافة الأنظمة السياسية الأخرى(٣).

وهكذا نجد أن التوتاليتارية جاءت إلى الإنسانية بنظام للحكم نقف أمامه وكلنا حيرة في فهم واستيعاب ما حدث. حيث تسلب إرادة الشعوب هكذا بمحض إرادتها،

---

[1]) Ibid,PP,391,392 .
المرجع السابق ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

[2]) Arendt ,A, The Origins of Totalitarianism,P, 403 .
قارن أيضاً : حنة أرندت ـ أسس التوتاليتارية ص ١٥٨ .

[3]) Ibid,PP, 408,409
المرجع السابق ص ١٦٥.

ودون أدني مقاومة. ولذلك نجد أن القائد التوتاليتاري يوجه سياسته من أجل السيطرة علي العالم، ويحبذ حكم الأراضي المحتلة بواسطة الشرطة دون القوات المسلحة[١].

تسعى تشكيلات النخبة في الحزب النازي والحركة البلشفية إلى السيطرة التامة أكثر من سعيها إلى حماية النظام في السلطة. وإن كان هناك تشابه بين غاية التوتاليتارية وبين غاية الإمبريالية، فكلاهما لديه رغبة في السيطرة علي العالم. ولكن قطعاً هناك اختلاف واضح بين التوسع التوتاليتاري والتوسع الإمبريالي، يتمثل في أن الأول لا يعترف بوجود اختلاف بين وطن وبلد أجنبي. والاختلاف الأكثر أهمية يتمثل في دور الشرطة السرية في النظام الاستبدادي، ودورها في التوتاليتارية يكمن في أن الثانية لا تطارد الأفكار السرية، ولا تعترف بها طالما لم تترجم إلى أعمال في الواقع[٢].

وهنا يطرح سؤالاً نفسه ما هي الطبقة التي تحكم الدولة التوتاليتارية، أو بمعني آخر ماهى الطبقة الأكثر استحواذا وتأثيراً في الدولة التوتاليتارية ؟ نجد أن الإجابة تتمثل في أن عملاء الشرطة السرية هي الطبقة الوحيدة التي تتحكم بشكل مباشر في الدولة التوتاليتارية، عندئذ " لا غرابة في أن يجد المرء أن بعض صفات الشرطة السرية الخاصة، إن هي إلا صفات عامة تنشأ من المجتمع التوتاليتاري أكثر من كونها خصوصيات تتميز بها الشرطة السرية التوتاليتارية " [٣].

وهكذا نجد دائماً أن التوتاليتارية عندما تسلك سلوكاً ما فإنها تبتكره ابتكاراً، بمعني أننا لا نجد له مثيل في تاريخ البشرية. فعندما تتخلص الشرطة من أعدائها في ظل النظام التوتاليتاري، فإنها لا تترك وراءها أثراً يذكر ممن تم التخلص منهم.

---

[1]) Ibid,P,421.

المرجع السابق ص ١٨١.

[2]) Arendt ,A, The Origins of Totalitarianism,P, 422 .

قارن أيضاً : حنة أرندت ـ أسس التوتاليتارية ص ١٨٤ .

[3]) Ibid,P,430.

المرجع السابق ص ١٩٤.

ومن خلال هذا الإبتكار الجديد في التخلص من الأعداء، كانت طريقة الاغتيال القديمة سواء كانت سياسية أو إجرامية غير فعاله، ولا نجد قبولاً في ظل النظام التوتاليتاري. لأن المجرم في الماضي عندما يرتكب جريمة قتل فإنه يترك خلفه جثة، وإن كان يحاول محو آثار جريمته، فإنه لايستطيع مهما حاول استئصال تلك الجريمة من ذاكرة من هم علي قيد الحياة. علي العكس من ذلك نجد أن الشرطة السرية في النظام التوتاليتاري تجعل الضحية وكأنها نسياً منسياً[١].

بالطبع يدرك السكان بمجموعهم ولا سيما أعضاء الحزب منهم الوضع بشكل عام حيث توجد معسكرات الاعتقال، وأن الناس يختفون فيها، وأن الأبرياء يتم اعتقالهم. ولكن في الوقت ذاته كل فرد منهم يعلم تمام العلم ان التكلم في مثل هذه الأسرار يعد جريمة عظمى. إن مثل هذه المعلومات التي يعرفها الجميع ويحتفظ بها كل منهم لنفسه دون أن تشاع علي الإطلاق، في هذه الحالة تفقد طابعها الواقعي وتتحول إلى محض كابوس[٢] .

إن النظام التوتاليتاري تظل طبيعته غير مألوفة ومنهجه غير محدد وأسلوبه يتصف بالغموض. إن الأنظمة التوتاليتارية ستظل معالمها غامضة وأهدافها مستعصية على الفهم، ويكفيها أنها دائماً ما تضع الإنسانية علي حافة الانهيار الشامل.

إن معسكرات الاعتقال في النازية إنما تمثل جريمة بكل المقاييس وفيها تنتهك إنسانية الإنسان. ولكن للحقيقة أن الإبادة التي مارسها هتلر ينبغي أن نقف أمامها طويلاً بالدراسة والتحليل محاولين قدر استطاعتنا تقديم تفسير لما حدث. ولكن سيظل الإنسان لغزاً ليس فقط للآخرين ولكن حتي بالنسبة إلى نفسه. ولكن علي كل حال

---

[1]) Ibid,P, 435.

المرجع السابق ص ٢٠١.

[2]) Ibid,PP,435,436 .

المرجع السابق ص ٢٠٢.

تعرض اليهود للإبادة وحدث ما حدث لهم، ولكن عندما اغتصبوا أرضاً ليست لهم ومارسوا التعذيب لشعب تم اغتصاب ارضه، وحاولوا بجديه ومازالوا يحاولون إبادته. هنا يطرح سؤال نفسه هل هتلر استشعر بداخلهم شراً ليس له حدود؟ او انه افترض ان تمكنهم قد ينهي الأعراق الأخرى؟ أم أنهم يمثلون عائقاً في سبيل تحقيق هدفه؟ أم أنهم يمثلون خطراً بما عرف عنهم من عدم احترام العهود، وأن الغدر متأصل بداخلهم حتي مع الأنبياء؟ هل أراد إبادتهم والتخلص منهم لأن العالم لا يحتمل وجود هتلر واليهود معاً؟ لأنه تاريخياً حدثت حروب كبرى بين المسلمين والمسيحيين، وعلي الرغم من ذلك لم يضطهد هتلر المسلمين. ولكنه كسياسي وجد أن الخطر الذي يحدق به، والغدر الذي لا يستطيع تحمله لن يأتي إلا من اليهود .

ولكن علي كل حال نجد أن ما حدث في معسكرات الاعتقال اتسم بالقسوة المبالغ فيها، وأما فظاعتها فلا نستطيع أن نعيها وعياً كاملاً بمخيلتنا، سبب أنها تقوم خارج الحياة والموت. حتي من كتب له أن ينجو من هذا الجحيم يصاب بالذهول وغير مصدق لما حدث. إن الشغل الشاق بحكم كونه عقوبة محدده بفترة زمنية ويحتفظ بحقوقه. والنفي ليس نفياً إلا من جزء من العالم إلى جزء آخر منه يكون آهلاً بالسكان شأنه شأن الشطر الآخر، وليس نفياً من عالم الناس برمته. وكانت العبودية ترتبط بنظام إجتماعي قائم، ولم يكن العبيد بمنأى عن الانظارأ شأن سجناء الاعتقال وبحكم كونهم ملكية فإن قيمتهم محددة بثمن محدد. لكن بالنسبة للسجين في معسكرات الاعتقال لا ثمن له [1].

إن معسكرات الخصوم السياسيين واغتيالهم ومحاولة طمس وجودهم من الأساس لا يقتصر عليهم فقط، بل يشمل عائلات وأصدقاء الضحايا. لذا فالحزن والتذكر ممنوعان فنجد علي سبيل المثال في الاتحاد السوفيتي تقوم المرأة التي يعتقل زوجها

[1]) Arendt ,A, The Origins of Totalitarianism ,PP, 445 ,446 .
قارن أيضاً : حنة أرندت ـ أسس التوتاليتارية ص ٢١٥ ، ٢١٦ .

برفع دعوى للطلاق بهدف حماية الأسرة، وإذا كان لزوجها حظ في أن يعود سالماً، فإنها ترفض العودة لديه، لتقدم دليلاً علي رفضها لما حدث منه. في العالم الغربي يقر لعدوه القتيل بحق التذكر، وسمح الرومان للمسيحيين بأن ينقشوا أسماء شهدائهم، والإنسانية كانت كذلك علي مر العصور لم يكن لينطوي أمر في عالم النسيان، ولم يحدث ذلك مطلقاً. نجد أن معسكرات الاعتقال جعلت الموت نفسه مجهول الهوية، بمعني لا نستطيع معرفة إذا كان السجين حياً أو ميتا. فقد استطاعت المعسكرات في تجريد الفرد من موته الخاص، مثبتين بذلك أنه لا ينتمي إلى أحد ولا يساوي شيئاً[1].

مهما حدث من تجاوزات من النظام التوتاليتاري في محاولته طمس الإنسانية، سيظل الإنسان إنساناً، وإن حدث هذا الطمس سيظل شكلياً لأن الانسان سيظل متفرداً، وإن هذه الفردية أهم ما يميز الإنسان. ولن توافق كافة الأنظمة في جعل كل الناس عديمي الجدوى بصورة متساوية. وإن استطاعت تحقيق أهدافها سيظل ذلك مقصوراً فقط علي معسكرات الاعتقال . ولكن الشئ المحقق هو أن التوتاليتارية لن تسطيع تحقيق أهدافها بشكل كامل. وسنجد أن التوتاليتارية وإن فشلت في تحقيق ذلك بشكل كامل، فإنها ستكون علي الأقل أظهرت أمام الجميع أن الإنسان عديم الجدوى. ويأليت التوتاليتارية تدرك أنه مهما كانت قبضتها شديدة فسيظل تحقيق أهدافها مستحيلاً[2].

تختلف التوتاليتارية . كما أشرنا سابقاً . عن كافة أشكال القمع السياسي من طغيان أو استبداد أو ديكتاتورية. وعندما تتواجد التوتاليتارية في السلطة تنشأ مؤسسات سياسية جديدة لأنها تدمر كل شيء كان موجوداً من تقاليد اجتماعية وتشريعية وسياسية قائمة في البلاد. وتزلزل الأوضاع القائمة بل تقوم بمحوها تماماً. فتحول

---

[1]) Arendt ,A , The Origins of Totalitarianism,P,452 .
قارن أيضاً : حنة أرندت ـ أسس التوتاليتارية ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

[2]) Ibid,P, 457 .
المرجع السابق ص ٢٣٦.

الطبقات إلى جماهير، وتستبدل الأحزاب بحركة جماهيرية، ويجعلوا السلطة للشرطة بدلاً من الجيش، وتعتمد سياسة خارجية هدفها السيطرة علي العالم[١].

والتوتاليتارية في السلطة لا نجد لها مثيلاً في تاريخ الإنسانية السياسي، ومن المستحيل أن يتخيل إنسان قبل النازية الألمانية، والستالينية السوفيتية أن يوجد نظام للحكم علي هذا النمط، ألا وهو وجود نظام استبدادي بدون قوانين وسلطة يحتكرها فرد واحد في العصر الحديث.

تحافظ القوانين علي استقرار المجتمع، وعدم وجودها يعني الفوضى " فإن مجتمعا بلا قوانين، لن يكون مجتمعاً حراً، كما قد يتبادر إلى الذهن لأول وهله، بل سيكون مجتمعاً فوضوياً يسحق قوية ضعيفة. ومادام في المجتمع قوي وضعيف، فستكون الحرية دائماً أداة للجور والطغيان، وسيكون القانون دائماً أداة التحرير والتنظيم. وربما كان الأصل في شتي التصورات الخاطئة للحرية هو هذا الخلط المستمر بين الحرية والفوضي، وكأن الانسان الحر انما هو ذلك الموجود الأخرق الذي يتصرف دون أدنى باعث علي الإطلاق!" [٢].

إن هدف الدولة الأسمى هو تحقيق العدالة، دفع ذلك فلاسفة القانون إلى القول "بأن الدولة الصالحة بمعني الدولة العادلة يحكمها القانون لا الإنسان، وأعلنوا بوضوح تام أن الحكام رغم عمق معرفتهم وحكمتهم، ورغم أصالة وظيفتهم، فإنهم يفتقدون الكمال، إذ ليس في استطاعتهم أن يحرروا أنفسهم تماماً من قدر من التحيز وقصر النظر والجهل "[٣].

إن النظام التوتاليتاري هو عدو لكل حرية، غير أن هذا النظام التوتاليتاري لا يوفق أبداً في تحقيق هدفه في استئصال عشق الحرية من أفئدة الناس. إنه مهما كان

---

[1]) Arendt ,A, The Origins of Totalitarianism,P, 460 .

قارن أيضاً : حنة أرندت ـ أسس التوتاليتارية ص ٢٤٣ .

[٢]) د . زكريا إبراهيم ـ مشكلة الحرية ١٩٧١ ص ٧٨.

[٣]) د . ميشيل حنا متياس ـ الديمقراطية والدستور ـ عالم الفكر ـ المجلد الثاني والعشرون ـ العدد الثاني ـ الكويت ـ ١٩٩٣ ص ٢٠٧.

اعتراض النظام التوتاليتاري علي الحرية، فإنها موجودة رغماً عن الجميع، نتيجة أن هناك ولاده للإنسان، وأن هذا يعني بدء جديد فيبدأ معه عالم جديد[١].

والأنظمة الشمولية ترفض التعدد والتنوع والاختلاف. وكذلك تحطم كل علاقة بين أفراد المجتمع وتنشر بينهم العداوة وعدم الثقة والبغضاء. يؤدي ذلك إلى عزل كل ذات عن الأخرى. عندئذ يفقد الإنسان أهم شرط لممارسته السياسة ألا وهو التواصل والحوار مع الآخر. هذا يعني أن الأنظمة الشمولية تجهض تماماً الممارسة السياسية، وتعادي بقوة الحرية السياسية[٢].

لقد كان الزعيم النازي هتلر يعلن بين الحين والآخر أن نظامه هو نموذج للديمقراطية الحقيقية، وقد تبعه في هذا الزعيم الفاشي موسوليني الذي رأي أن أنسب تعريف للفاشية هو أنها " ديمقراطية استبدادية مركزية منظمة موجهة [٣]".

ومن المفارقات التي تلفت نظرنا أنك لن تجد " حاكماً واحداً يعترف بأنه يحكم حكماً دكتاتورياً. وإن كان بالفعل كذلك، ويدلل علي ذلك هذا الاعتراف الضمني ما تجده في أنظمة عاتية في الاستبداد لكنها (تتمسح) في الديمقراطية ومجالسها النيابية على نحو ما كنا نجده في النظام الشمولي السابق في الاتحاد السوفيتي الذي كان يسمى نفسه بالديمقراطية الشعبية "[٤].

وهكذا نجد أنه علي الرغم من المصائب والكوارث التي تحدث للإنسانية، سيظل الإنسان إنساناً، لا يمكن سلب حريته وارادته، وإن حدث ذلك، فإن ذلك لا يدوم طويلاً. وسيظل الإنسان خارج كل التوقعات ولم لا ؟ والإنسان بمعناه الفردي يظل يمثل عالماً قائماً بذاته وله خصوصيته. إن كل ما من شأنه أن يحقر من تفرد

---

[1]) Arendt ,A , The Origins of Totalitarianism,P, 466 .
قارن أيضاً : حنة أرندت ـ أسس التوتاليتارية ص ٢٥٤ .

[2]) Arendt ,A, Men and Dark Times , London , Combridge University Press , 1973 ,PP, 99,100

[3]) Mayo ,H,B,An Introduction to Democratic Theory ,P,21

[٤]) د . إمام عبد الفتاح إمام ـ الأخلاق والسياسة (دراسة في فلسفة الحكم) ـ المجلس الاعلى للثقافة ـ ٢٠٠١م ص ٢٢ .

الإنسان وحريته مصيره إلى الزوال " وتظل هذه الحقيقة ماثلة في أن كل نهاية في التاريخ تتضمن بالضرورة علي بدء جديد.. علي أن البدء قبل أن يصير حدثاً تاريخياً، هو طاقة الإنسان القصوى، وهو من الوجهة السياسية مماثل لحرية الإنسان. ونستشهد بذلك بما قاله القديس أوغسطين أن البدء تضمنه كل ولادة جديدة، إنه في الحق، كل إنسان "[1].

[1]) Arendt ,A, The Origins of Totalitarianism ,PP, 478 , 479
قارن أيضاً : حنة أرندت ـ أسس التوتاليتارية ص ٢٧٧ .

الخاتمة

تأثرت حنة أرندت بالعديد من الفلاسفة الذين تركوا أثراً واضحاً علي فكرها. ولقد تتلمذت بشكل مباشر علي يد فيلسوفين متميزين ألا وهما هيدجر وياسبرز ثم نجد تحولها إلى الاهتمام بالسياسة، حتي إننا نستطيع القول بأنها مزجت ما بين الفلسفة والسياسة. وإن كانت رفضت لقب فيلسوفه، وفصلت وصفها بالمنظرة السياسية. ونجد أن هذا الموقف يرتبط بشكل مباشر لما تعرضت له في ألمانيا الهتلرية من تجربة مريرة. فضلاً عن ذلك، لم تساعد الفلسفة فيلسوفاً متميزاً مثل أستاذها هيدجر من معرفة حقيقة النازية والانصياع لأوامرها.

ورفضت أرندت ربط السلطة بالعنف. لأن العنف عند أرندت يقترن باختفاء السلطة، وأن ممارسة العنف يتم عند الانهيار الفعلي للسلطة. ويعجز العنف في أن يحمي السلطة من السقوط. ويرتبط الاستقرار السياسي ارتباطاً وثيقاً بغياب العنف.
ومع تطور أنماط الحكم، نجد في عصرنا الحاضر ظهور نمط جديد للحكم يتمثل في الحكم البيروقراطي. ذلك الحكم الذي يتم من خلال نظام مكاتب معقد، لا نستطيع أن نضع مسئولية ما يحدث علي أحد. وأن هذا الحكم يمكن أن يطلق عليه حكم لا أحد. وإذا كنا نقوم بتعريف الطغيان علي أن حكومته غير مجبره علي تقديم أي حساب لأحد عما تمارسه نجد في المقابل حكم اللا أحد أكثر طغياناً، لأنه حكم لا أحد.

تدافع أرندت عن التفرد الإنساني، وأن كل ولادة جديدة تعني بداية لشخص ما. وأن مع هذه البداية تتواجد الحرية، التي يتزامن وجودها مع وجود الانسان. والفعل يرتبط مباشرة بالولادة، التي تعني أن القادم الجديد يمتلك الامكانية في تقديم الجديد أي الفعل. والفعل عند أرندت أساس نظريتها السياسية، ويرتبط الفعل بالحرية والحوار والمشاركة. والسياسي في حاجة إلى الكلام حتي يستطيع ان يعبر عن وجهة نظره. ومن خلال الكلام والفعل تظهر الإنسانية أمام بعضها البعض. وأن الحياة من دون الكلام أو من دون فعل، تعني أنها والعدم سواء.

وإذا كانت أرندت تذهب إلى أن هناك نظاماً توتاليتاريا في ألمانيا الهتلرية، وكذلك نظاماً توتاليتاريا في روسيا الستالينية، ولكن ستظل الهتلرية هي قمة ما وصلت إليه التوتاليتارية. نتيجة توافر فيها كل الصفات التوتاليتارية، ولا سيما التأييد الجماهيري الجارف. بينما التوتاليتارية في روسيا الستالينيه ظلت توتاليتارية مترددة بمعني أنها إبان الحرب العالمية الثانية تلاشت مؤقتا صور الاستبداد، ولكن لم يحدث هذا مطلقاً في ألمانيا الهتلرية.

وهكذا نجد أن النظام التوتاليتاري شأنه شأن كل الأنظمة الاستبدادية، لن يكتب له الاستمرارية إلا عندما يدمر الحياة العامة، ويدمر طاقات الإنسان السياسية، مستخدما في ذلك أسلوب عزلهم عن بعضهم البعض. ولا يكتفي النظام التوتاليتاري بهذه العزلة، بل يسعي إلى القضاء علي الحياة الخاصة.

إن الحكم الاستبدادي لا يستند إلى إرادة شعبية ولا يهتم بما يحدث للجماهير، ولا يعنيه أن قرارته تؤثر بالسلب أو الايجاب. ولكن كل ما يسيطر عليه هو أن يملي رؤيته وإرادته علي الشعب الذي يحكمه دون الرجوع أو أن يأخذ في الاعتبار رأيهم. غير أن التماثل بين التوتاليتارية والاستبداد لا يوجد، إلا في المراحل الأولي من التوتاليتارية، وطالما كانت المعارضة السياسية قائمة.

والتوتاليتارية لا نجد لها مثيل في تاريخ الإنسانية. فإنها لا تقف عند الغاء الحرية بشكل تام وشامل، بل انها تقوم بالقضاء علي كل ما هو عفوي لتوطيد فكرها الرافض لكل ما من شأنه أن يتم عن طريق الصدفة. ومن الوجهة التقنية فإن ما يميز النظام التوتاليتاري، هو غياب كل سلطة أو تنظيم من شأنه أن يحدد شكل الحكم.

إن الصراع الذي تخوضه التوتاليتارية من أجل السيطرة على كل شعوب العالم، وإزالة كل واقع غير توتاليتاري يكون في موقع المنافسة، هما ما يلازمان وجود الأنظمة التوتاليتارية نفسها. لأنها إن لم تضع حكم العالم هدفاً لها، فإن ذلك يعني انتهائها وفقدها حتي السلطة التي بين يديها.

وكما توقعت أرندت فقد حدث انهيار شامل ومفاجئ وسريع وغير متوقع للشيوعية الروسية، وتم تفكيكها، وتراجع دورها، وسيطرت أمريكا علي المشهد العالمي بعد انتهاء المعسكر الشرقي. وكانت المفاجأة أن المعسكر الشرقي انتهي من تلقاء ذاته وبدون مواجهة مسلحة بين طرفي الصراع.

ونجد أن انهيار الشيوعية كما تنبأ العديد من أمثال أرندت وغيرهم نتيجة عدم احترام الحرية الإنسانية، وتحولت البلدان الشيوعية إلى سجن يتم فيه وأد كل رأي حر، وأن المعارضة يتم التخلص منها فوراً، على افتراض وجود معارضة.

وبانهيار الشيوعية سيطر المعسكر الغربي على العالم بشكل كامل، وظهر مصطلح العولمة الذي يعني تعميم نسق الحضارة الغربية علي كل دول العالم. وهنا نجد تشابها بين التوتاليتارية والعولمة في كونهما يحاولان تعميم فكرهما علي العالم. وهنا نستطيع القول بأن التوتاليتارية في القرن العشرين حاولت فرض سيطرتها علي العالم، نجد أن العولمة في القرن الحادي والعشرين تسعي إلى ما كانت تسعى إليه التوتاليتارية، في محاولة السيطرة علي كل شعوب العالم. فالعولمة إذن تسعي إلى السيطرة علي العالم من خلال تعميم نمط الحضارة الأمريكية علي شعوب العالم.

فالعولمة تتجه نحو فكرة أساسية هي (طمس الخصائص المحلية)، لأي مجتمع والقضاء علي الثقافات المحلية ، أو تحويل الأنشطة، والثقافات المحلية لثقافات عالمية من خلال النقل السريع، والإنتشار الكبير لها باستخدام التكنولوجيا[١].

وامتداداً لذلك نجد أن أطروحات يوتوبية من قبيل سوف تلغي الحدود بين الدول بعضها البعض، بل واعتبار أن علم الخرائط القديم قد فقد صلاحيته، ولم يعد أكثر من وهم. وكذلك توقع "نيكولاس نجريونت " تبخر الدولة القومية وانقراضها. ويرى " بريان فاريل " أنّ دور المستثمرين سوف يفوق دور الزعماء السياسيين الوطنيين[٢].

[١]) جون جراي ـ الفجر الكاذب (أوهام الرأسمالية العالمية) ، ترجمة احمد فؤاد بلبع ـ مكتبة الشرق ـ ٢٠٠٠ م ص ٨٣.
[٢]) جون جراي ـ الفجر الكاذب لأوهام الرأسمالية العالمية ص ٩٧.

وكما انهارت التوتاليتارية في محاولة سيطرتها علي العالم، كذلك نتوقع أيضاً فشل العولمة في محاولة سيطرتها علي العالم.

ونستطيع القول بأن الفشل قد حدث بالفعل، بعد أن عارضت كثير من دول العالم المخطط الأمريكي، ولا سيما بعد أن بدأت روسياً تظهر كقوة عالمية مؤثرة في مواجهة أمريكا.

المصادر والمراجع

أولًا : المصادر

أ . باللغة العربية

١. حنة أرندت . في العنف . ترجمة إبراهيم العريس . دار الساقي . لبنان . الطبعة الأولى . ١٩٩٢م.

٢. حنة أرندت . الوضع البشري . ترجمة هادية العرقي . مكتبة الفجر الجديد . لبنان .

٣. حنة أرندت . ما السياسة ؟ ترجمة وتحقيق د . زهير الخويلدي ، سلمي بالحاج مبروك . مكتبة الفجر الجديد . لبنان . الطبعة الاولي . ٢٠١٤ م .

٤- حنة أرندت . أسس التوتاليتارية . ترجمة أنطوان أبو زيد . دار الساقي . الطبعة الأولي - ١٩٩٣م.

ب . باللغة الأجنبية

1- Arendt ,Hannah ,Between Past and Future , Six Exercises in Political Thought, The Viking Press , New York ,1961 .

2- Arendt ,Hannah The Human Condition ,Introduction By Margaret.

Canovan ,The University of of Chicago Press Second Edition ,1998 .

3- Arendt , Hannah , On Violence , New York , Harcourt , 1970 .

4- Arendt , Hannah, Men and Dark Times , London , Combridge University Press , 1973.

5- Arendt ,A , The Origins of Totalitarianism ,New York ,Harcourt , 1951 .

6- Arendt ,Hannah ,Qu'est –ce que la Politique ?Editions du Seuil,Pour La Traduction Francaise et la Préface ,1995.

ثانياً : مراجع عامة

أ . باللغة العربية

١ـ د . إمام عبد الفتاح إمام . كيركجور رائد الوجودية . الجزء الأول . دار الثقافة للطباعة والنشر . القاهرة . ١٩٨٢م.

٢ـ د . إمام عبد الفتاح إمام . كيركجور رائد الوجودية . الجزء الثاني . دار الثقافة للطباعة والنشر . القاهرة . ١٩٨٦ م.

٣ـ د. إمام عبد الفتاح إمام . الطاغية . سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت . العدد ١٨٣م .

٤ـ د . إمام عبد الفتاح إمام . الطاغية دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي . عالم المعرفة . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت . ١٩٩٣م .

٥. د. إمام عبد الفتاح إمام . الأخلاق والسياسة (دراسة في فلسفة الحكم) . المجلس الاعلى للثقافة . ٢٠٠١م .

٦ـ إ . م . بوشنكسي . الفلسفة المعاصرة في اوروبا . ترجمة د . عزت قرني . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت . ١٩٩٢ م .

٧ـ برتراندرسل . حكمة الغرب . الجزء الثاني . الفلسفة الحديثة والمعاصرة . ترجمة د . فؤاد زكريا . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت . ١٩٨٣م.

٨ . تيموتر روبيرتس . إيمي هايت . من الحداثة إلي العولمة . ترجمة سمر الشيشكلي . مراجعة . محمود ماجد عمر . عالم المعرفة . الجزء الأول . العدد ٣٠٩ . ٢٠٠٤م.

٩- جون جراي . الفجر الكاذب (أوهام الرأسمالية العالمية) ، ترجمة احمد فؤاد بلبع . مكتبة الشرق . ٢٠٠٠ م .

١٠. جميل صليبا . المعجم الفلسفي . الجزء الثاني . دار الكتاب اللبناني . بيروت١٩٨٢ م.

١١. جميل صليبا . المعجم الفلسفي . الجزء الأول . دار الكتاب اللبناني . بيروت ١٩٨٢م.

١٢- ريجيس جوليفيه . المذاهب الوجودية من كيركجورد الي جان بول سارتر . ترجمة فؤاد كامل . مراجعة د . محمد عبد الهادي أبو ريده . مكتبة الأنجلو المصرية . ١٩٨٢م.

١٣ . د . زكريا ابراهيم . دراسات في الفلسفة المعاصرة . الجزء الأول . دار مصر للطباعة . ١٩٦٨م.

١٤ . د . زكريا إبراهيم . مشكلة الحرية . مكتبة مصر . القاهرة . ١٩٧١ م .

١٥ . سدني هوك . التراث الغامض ماركس والماركسيون . ترجمة سيد كامل زهران . الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٨٦م.

١٦- د . عبد الرحمن بدوي . دراسات في الفلسفة الوجودية . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . الطبعة الأولى . ١٩٨٠ م .

١٧- د. علي عبد المعطي . الفكر السياسي الغربي . دار المعرفة الجامعية . الاسكندرية . ١٩٨٠ م .

١٨- كانط . مشروع للسلام الدائم . ترجمة وتقديم د . عثمان أمين . الهيئة العامة للكتاب . ٢٠٠٠م .

١٩. كارل ياسبرز . مستقبل الانسانية . ترجمة وتقديم د . عثمان امين . الدار القومية للطباعة والنشر . الطبعة . الأولي ١٩٦٣

٢٠- د . ميشيل حنا متياس . الديمقراطية والدستور . عالم الفكر . المجلد الثاني والعشرون . العدد الثاني . الكويت . ١٩٩٣ م .

٢١ . د . مراد وهبه . المعجم الفلسفي . الطبعة الخامسة . دار القباء الحديثة . ٢٠٠٧ م .

ب . باللغة الأجنبية

1- Alburey Castell Donald M.Berchert An Introduction To Modern Philosophy , Fifth Edition ,Macmillan Publishing Company, New York, 1988.

2- Anthony F. Lange Jr .John Williams ,Hannah Arendt and International Relations Reading across the Lines ,Palgrave Macmillan , 2005.

3- Berdyaev ,N,the Origin of Russian Communism ,Translated By R.M.French ,Geoffrey Bles ,London,1937.

4- Canovan ,Margoret , The Political Thought Of Hannah Arendt ,London, Everyman's University Press

5- Dana R.Villa , Politics ,Philisophy,Terror ,Essays on The Thought of Hannah Arendt ,Princeton University Press , New Jersey ,1992.

6- Dana, Rvilla,Arendt and Heidegger ,The Fate of the Political ,New York, Princeton University ,Press, 1996.

7- John Hennah ,Karl Jaspers, Attude to Words History the Philosophy of Karl Jaspers , Edited by Paul Arthur Schilpp , New York , Tudor Publishing company , The Library of living Philosophers ,1937.

8- Lock ,J,OF Civil Government ,London ,J.M.DentSonslimited,1929.

9- Marx,karl, Economic and Philosophical Manuscrints of 1944, Robert C. Tucker , New York , 1976.

10- Maurizio , Passerin d'Entreves – The Political Philosophy of Hannah Arendt ,Routledge ,London and New York ,1994.

11- Moya ,An Introduction To Democratic Theory ,New York ,Oxford University Press,1960.

12- Moya ,H,B,An Introduction To Marxist Theory ,New York ,Oxford University Press,1960.

13- Ortega Gasset Jose , The Revolt Of The Masses , Unwin Books, London,Thied in Pression,1969.

14- Wilkinson ,Paul ,Terrorism and The Liberal State , New York , Johnwiley,1977.

15- Young Bruehl , Elisabeth , Hannah Arendt , For the Love of The World, Yale University Press ,1982.